سورة الملك

وقفات وتأملات

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

سُورَةُ المُلكِ
وَقفَاتٌ وَتَأَمُّلَاتٌ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

1446هـ - 2025م

تم التصميم والإخراج الفني لدى

أنت في المكان الصَّح

دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الوادي - الجزائر (العاصمة)

00213 (0) 556 96 58 10

dar.alfurquan@gmail.com

سورة الملك

وقفات وتأملات

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحَمْدُ لله الَّذِي خَصَّنَا بِنَعَمٍ غِزَارٍ وَأَوْلَانَا، وَجَادَ عَلَيْنَا بِآلَاءٍ تَتْرَى وَحَبَانا ـ سُبْحَانَه ـ تَفَضَّلَ عَلَى عِبَادِهِ بِمِنَّةٍ لَا تُضَاهَى وَلَا تُدَانى، وَهَدَانَا سُنَّةً مُبَارَكَةً وَقُرْآنا: هُوَ النُّورُ المُبِين، وَأَعْظِمْ بِهِ كَلامًا لِلْمَوْلَى وَبُرْهَانا، أُنْزِلَ هُدًى لِلْعَالَمِين، وَلِلْحَقِّ تَبْصِرَةً وَتِبْيَانا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَلْهَجُ بِهَا سِرًّا وَإِعْلَانا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَأُسْوَتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ الله وَرَسُولُه، أَحْيَى بِالقُرْآنِ أُمَّةً ظَلَّتْ مُمَزَّقَةً أَزْمَانا، صَلَّى الله وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ اسْتَعْصَمُوا بِالذِّكْرِ الحَكِيم، فَلَقَّاهُمْ عِزَّةً وَسُلْطَانا، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو مِنْ رَبِّهِ رَحْمَةً وَغُفْرَانا وَجِنَانا.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله.. إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

إِنَّ العَبْدَ المُسْلِمَ يَجِدُ نَفْسَهُ(يَوْمِيًّا) يُكَرِّرُ سُوَرًا وَآيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ إِمَّا فِي صَلَاتِهِ، وَإِمَّا مَعَ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالمَسَاء، أَوْ قَبْلَ نَوْمِهِ...

وَلَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ فِي شَيْءٍ أَنْ يُكَرِّرَ العَبْدُ كَلَامًا لَا يَعْلَمُ مَعْنَاه، فَكَيْفَ الحَال مَعَ كَلَامِ الكَبِيرِ المُتَعَال؟! الَّذِي أَرْشَدَنَا أَنَّ القُرْآنَ إِنَّمَا أُنْزِلَ لِيُتَدَبَّر فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وَفِي المُقَابِلِ حَذَّرَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مِنْ عَدَمِ تَدَبُّرِ كَلَامِهِ فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [مُحمد:٢٤].

وَلِهَذَا فَقِهَ السَّلَفُ الصَّالِحُ هَذَا المَعْنَى فَظَهَرَتْ آثَارُ ذَلِكَ فِي أَعْمَالِهِمْ، قَالَ الحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا القُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ»(١).

وَلَا أَحَدَ يُنْكِرُ أَنَّ أَوَّلَ الخُطُوَاتِ فِي طَرِيقِ تَدَبُّرِ كَلَامِ رَبِّ البَرِيَّاتِ هِيَ مَعْرِفَةُ مَعَانِي هَذِهِ السُّوَرِ وَالآيَاتِ.

وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ «لَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تَنْهَضُ بِالعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ بِالوَعْدِ الجَمِيلِ، وَتُحَذِّرُهُ وَتُخَوِّفُهُ بِوَعِيدِهِ مِنَ العَذَابِ الوَبِيلِ، وَتَحُثُّهُ عَلَى التَّضَمُّرِ وَالتَّخَفُّفِ لِلِقَاءِ اليَوْمِ الثَّقِيلِ، وَتَهْدِيهِ فِي ظُلَمِ الآرَاءِ وَالمَذَاهِبِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَصُدُّهُ عَنْ اقْتِحَامِ طُرُقِ البِدَعِ وَالأَضَالِيلِ، وَتَبْعَثُهُ عَلَى الازْدِيَادِ مِنَ النِّعَمِ بِشُكْرِ رَبِّهِ الجَلِيلِ، وَتُبَصِّرُهُ بِحُدُودِ الحَلَالِ وَالحَرَامِ وَتَوَقُّفِهِ عَلَيْهَا لِئَلَّا يَتَعَدَّاهَا فَيَقَعَ فِي العَنَاءِ الطَّوِيلِ، وَتُثَبِّتُ قَلْبَهُ عَنْ الزَّيْغِ وَالمَيْلِ عَنْ الحَقِّ وَالتَّحْوِيلِ، وَتُسَهِّلُ عَلَيْهِ الأُمُورَ الصِّعَابِ وَالعَقَبَاتِ الشَّاقَّةِ غَايَةَ التَّسْهِيلِ، وَتُنَادِيهِ كُلَّمَا فَتَرَتْ عَزَمَاتُهُ وَوَنَى فِي سَيْرِهِ: تَقَدَّمَ الرَّكْبُ وَفَاتَكَ الدَّلِيلُ؛ فَاللِّحَاقَ اللِّحَاقَ وَالرَّحِيلَ الرَّحِيلَ، وَتَحْدُو بِهِ وَتَسِيرُ أَمَامَهُ سَيْرَ الدَّلِيلِ، وَكُلَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ كَمِينٌ مِنْ كَمَائِنِ العَدُوِّ أَوْ قَاطِعٌ مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ نَادَتْهُ: الحَذَرَ الحَذَرَ! فَاعْتَصِمْ بِاللهِ وَاسْتَعِنْ بِهِ وَقُلْ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

---

(١) «التِّبْيَان فِي آدَابِ حَمَلَةِ القُرْآن» (ص٩٤)، وَ«المَجْمُوع شَرْح المُهَذَّب» (٢/ ١٦٩).

وَفِي تَأَمُّلِ القُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ: أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذَكَرْنَا مِنِ الحِكَمِ وَالفَوَائِدِ»[١].

لِذَا أَحْبَبْتُ أَنْ نَقِفَ هَذِهِ الوَقَفَاتِ وَالتَّأَمُّلَاتِ مَعَ هَذِهِ الآيَاتِ العَظِيمَةِ، وَالسُّورَةِ الكَرِيمَةِ: ﴿سُورَةُ المُلْكِ﴾.

مَعَ التَّنْبِيهِ أَنَّهُ صَدَرَ «**الْجُزْءُ الْأَوَّلُ**» مِن هَذِهِ سِلْسِلَةِ «**سُورٌ وَآيَاتٌ**» فِي سِفْرٍ وَاحِدٍ، وَاشْتَمَلَ عَلَى السُّورِ وَالْآيَاتِ التَّالِيَةِ:

- **البَسْمَلَةُ.**
- **سُورَةُ الفَاتِحَةِ.**
- **آيَةُ الكُرْسِيِّ.**
- **أَوَاخِرُ سُورَةِ البَقَرَةِ.**
- **سُورَةُ الإِخْلَاصِ.**
- **سُورَةُ الفَلَقِ.**
- **سُورَةُ النَّاسِ.**

وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَيَّ أَنَّهُ تَوَاصَلَ مَعِيَ العَدِيدُ مِنْ أَئِمَّةِ المَسَاجِدِ الَّذِينَ قَامُوا بِتَدْرِيسِ الكِتَابِ وَشَرْحِهِ فِي دُرُوسِهِمْ -خَاصَّةً الرَّمَضَانِيَّةَ مِنْهَا- لِمَا عَلِمُوا بِأَهَمِّيَّةِ إِيصَالِ هَذِهِ المَعَانِيَ لِرُوَّادِ المَسَاجِدِ، فَكَانَ هَذَا مِنْ أَهَمِّ الأَسْبَابِ الَّتِي دَفَعَتْنِي لِلسَّيْرِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لِإِتْمَامِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ المُبَارَكَةِ فِي تَقْرِيبِ مَعَانِي السُّوَرِ وَالآيَاتِ الَّتِي تَسْتَوْقِفُ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ فِي قِرَاءَةِ كَلَامِ

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِين»(١/ ٤٥٢).

رَبِّ البَرِيَّاتِ جَلَّجَلَالُهُ.

وَقَدْ جَمَعْتُ شَتَاتَ هَذِهِ الوُرَيْقَاتِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ العِلْمِ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ شِفَاءُ الغَلِيلِ، وَرَجَعْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى الدَّلِيلِ، وَأَعْفَيْتُهُ مِنَ الإِسْهَابِ وَالتَّطْوِيلِ، وَسَهَّلْتُهُ عَلَى المُتَعَلِّمِ غَايَةَ التَّسْهِيلِ، وَاللهِ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ[1].

سَائِلًا اللهَ جَلَّوَعَلَا أَنْ يَجْعَلَ هَذَا العَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ، نَافِعًا لِعِبَادِهِ، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

مُحِبُّكُم فِي اللهِ
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou_abdelaziz@hotmail.fr

(١) انْظُرْ: «أَسْرَار العَرَبِيَّة» (ص٧).

الوَقْفَةُ الأُولَى:

مَعْلُومَاتٌ هَامَّةٌ عَنْ سُورَةِ المُلْكِ

قَالَ أَبُو العَالِيَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«كُنَّا نَعُدُّ مِنْ أَعْظَمِ الذَّنْبِ

أَنْ يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ القُرْآنَ ثُمَّ يَنَامُ لَا يَقْرَأُ مِنْهُ شَيْئًا»

«الزُّهْدُ» لِلْإِمَامِ أَحْمَد (ص٣٠٣)

سُورَةُ المُلْكِ

١/ أَسْمَاؤُهَا:

لَقَدْ عُرِفَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِالعَدِيدِ مِنَ الأَسْمَاءِ مَبْثُوثَةً فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالسُّنَّةِ وَعُلُومِ القُرْآنِ، فَتُسَمَّى ﴿سُورَةُ المُلْكِ﴾، وَتَبَارَك، وَالمُنْجِيَةُ، وَالمَانِعَةُ، وَالمُجَادِلَةُ، وَالوَاقِيَةُ المَنَّاعَةُ[١].

«وَسُمِّيَتْ أَيْضًا «تَبَارَكَ الْمُلْكُ» بِمَجْمُوعِ الْكَلِمَتَيْنِ... فَيَكُونُ اسْمُ السُّورَةِ مَجْمُوعَ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ عَلَى طَرِيقَةِ عَدِّ الْكَلِمَاتِ فِي اللَّفْظِ دُونَ إِضَافَةِ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى...وَعَلَيْهِ فَيُحْكَى لَفْظُ «تَبَارَكَ» بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَيُحْكَى لَفْظُ «الْمُلْكُ» مَرْفُوعًا كَمَا هُوَ فِي الْآيَةِ، فَيَكُونُ لَفْظُ «سُورَةٍ» مُضَافًا مِنْ إِضَافَةِ الْمُسَمَّى إِلَى الِاسْمِ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ تَعْرِيفُ السُّورَةِ بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ عَلَى حِكَايَةِ اللَّفْظَيْنِ الْوَاقِعَيْنِ فِي أَوَّلِهَا مَعَ اخْتِصَارِ مَا بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ وَذَلِكَ قصدا للْفرق بَينهَا وَبَيْنَ «تَبَارَكَ الْفُرْقَانِ»»[٢].

وَقَدْ دَلَّ عَلَى غَالِبِ هَذِهِ الأَسْمَاء أَحَادِيثُ عَدِيدَةٌ وَرَدَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهَا بِإِذْنِ الله.

٢/ تَرْتِيبُهَا فِي المُصْحَفِ:

تَقَعُ ﴿سُورَةُ المُلْكِ﴾ فِي المَرْتَبَةِ السَّابِعَةِ وَالسِّتِّين (٦٧) فِي تَرْتِيبِ المُصْحَفِ، عِنْدَ رَأْسِ الجُزْءِ (٢٩)، وَالحِزْبِ (٥٧).

---

(١) انْظُرْ: «الإِتْقَان فِي عُلُوم القُرْآن» (١/ ١٥٥).

(٢) «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِير» (١٢/ ٥).

٣/ هَلْ هِيَ سُورَةٌ مَكِيَّةٌ أَم مَّدَنِيَّةٌ؟

«هِيَ سُورَةٌ مَكِيَّةٌ بِإِجْمَاع»[١].

٤/ عَدَدُ حُرُوفِهَا وَكَلِمَاتِهَا وَآيَاتِهَا:

«﴿سُورَةُ الْمُلْكِ﴾: **حُرُوفُهَا**: أَلْفٌ وَثَلَاثِمِائَةَ وَثَلَاثَةَ عَشْرٍ، **كَلِمَاتُهَا**: ثَلَاثُمِائَةَ وَخَمْسٍ وَثَلَاثُونَ، **آيَاتُهَا**: ثَلَاثُونَ»[٢].

فَهَلِ اسْتَحْضَرْتَ يَوْمًا أَخِي فِي اللهِ أَنَّكَ بِمُجَرَّدِ قِرَاءَةِ هَذِهِ السُّورَةَ -الَّتِي لَا تَأْخُذُ مِنْكَ وَقْتًا كَبِيرًا فِي قِرَاءَتِهَا- أَنَّكَ قَدْ تُحَصِّلُ أَكْثَرَ مِنْ **١٣٠٠٠ حَسَنَةٍ؟! بِإِذْنِ** اللهِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[٣].

قَالَ العُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي شَرْحِ هَذَا الحَدِيثِ: «قَوْلُهُ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**» أَيِ الْقُرْآنِ «**وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**» أَيْ مُضَاعَفَةٌ بِالْعَشْرِ وَهُوَ أَقَلُّ التَّضَاعُفِ الْمَوْعُودِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١] وَالْحَرْفُ يُطْلَقُ عَلَى حَرْفِ الْهِجَاءِ وَالْمَعَانِي وَالْجُمْلَةِ الْمُفِيدَةِ وَالْكَلِمَةِ الْمُخْتَلَفِ فِي قِرَاءَتِهَا وَعَلَى مُطْلَقِ الْكَلِمَةِ

وَلِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**)»[٤].

---

(١) «المُحَرَّرُ الوَجِيز» (٥/ ٣١٠).
(٢) «غَرَائِبُ القُرْآن وَرَغَائِبُ الفُرْقَان» (٦/ ٣٢٣).
(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٩١٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (١٤١٦).
(٤) «تُحْفَةُ الأَحْوَذِي» (٨/ ١٨٢).

تَذْكِير:

عَمَلٌ يَسِير وَأَجْرٌ كَبِير مَعَ كَلَامِ العَزِيزِ الخَبِير

قِرَاءَةُ صَفْحَةٍ مِنَ القُرْآن تَعْدِلُ ٥٠٠٠ حَسَنَةٍ بِإِذْنِ الله.

الوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ:

سُورَةُ المُلْكِ وَعِلْمُ المُنَاسَبَات

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ

فَاشْغَلُوهَا بِالْقُرْآنِ، وَلا تَشْغَلُوهَا بِغَيْرِهِ»

رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَة فِي «مُصَنَّفِه» (١٠/٤٨٣)

إِنَّ عِلْمَ المُنَاسَبَةِ عِلْمٌ شَرِيف، وَمَوْضُوعٌ جَلِيل، بِهِ يَرْسَخُ الإِيمَانُ فِي القَلْب وَيَصِلُ فَهْمُ القُرْآنِ إِلَى اللُّبّ، وَهُوَ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي تَدُلُّ المُسْلِمَ المُتَدَبِّرَ لِكَلَامِ رَبِّهِ عَلَى إِعْجَازِ القُرْآنِ العَظِيم... وَالمُنَاسَبَةُ فِي اللُّغَةِ هِيَ المُشَاكَلَةُ وَالمُقَارَبَةُ، وَمَرْجِعُهَا فِي الآيَاتِ وَنَحْوِهَا إِلَى مَعْنًى رَابِطٍ بَيْنَهَا، وَفَائِدَتُهَا جَعْلُ أَجْزَاءِ الكَلَامِ آخِذًا بِأَعْنَاقِ بَعْضٍ، فَيَقْوَى بِذَلِكَ الارْتِبَاطُ وَيَصِيرُ التَّأْلِيفُ حَالُهُ حَالَ البِنَاءِ المُحْكَمِ المُتَلَائِمِ الأَجْزَاءِ...وَمَعْرِفَةُ المُنَاسَبَاتِ وَالرَّبْطُ بَيْنَ الآيَاتِ لَيْسَتْ أَمْرًا تَوْقِيفِيًّا، بَلْ اجْتِهَادِيٌّ تَوْفِيقِيٌّ يَعْتَمِدُ عَلَى اجْتِهَادِ المُفَسِّرِ وَمَبْلَغِ تَذَوُّقِهِ لِإِعْجَازِ القُرْآنِ وَأَسْرَارِهِ البَلَاغِيَّةِ وَأَوْجُهِ بَيَانِهِ الفَرِيد، فَإِذَا كَانَتِ المُنَاسَبَةُ دَقِيقَةَ المَعْنَى، مُنْسَجِمَةً مَعَ السِّيَاق، مُتَّفِقَةً مَعَ الأُصُولِ اللُّغَوِيَّةِ فِي عُلُومِ العَرَبِيَّة، كَانَتْ مَقْبُولَةً لَطِيفَةً.

وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنْ يَلْتَمِسَ المُفَسِّرُ لِكُلِّ آيَةٍ مُنَاسَبَة، فَإِنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ نَزَلَ مُنَجَّمًا حَسَبَ الوَقَائِعِ وَالأَحْدَاث، وَقَدْ يُدْرِكُ المُفَسِّرُ ارْتِبَاطَ آيَاتِهِ وَقَدْ لَا يُدْرِكُهَا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَسِفَ المُنَاسَبَةَ اعْتِسَافًا، وَإِلَّا كَانَتْ تَكَلُّفًا مَمْقُوتًا.

وَلِذَلِكَ حَدَّدَ أَهْلُ العِلْمِ شُرُوطًا لِجَوَازِ طَلَبِ المُنَاسَبَاتِ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، مِنْهَا:

أَنْ تَكُونَ المُنَاسَبَةُ مُنْسَجِمَةً مَعَ السِّيَاقِ وَالسِّبَاقِ وَاللِّحَاق، وَأَن لَّا تَكُونَ مُتَعَارِضَةً مَعَ نُصُوصِ الشَّرْعِ الحَنِيفِ، وَأَنْ تَكُونَ مُتَوَافِقَةً مَعَ تَفْسِيرِ الآيَةِ غَيْرَ مُخَالِفَةٍ لَهُ مُخَالَفَةَ تَضَادٍ.

كَمَا أَنَّ مِنَ الشُّرُوطِ المَذْكُورَةِ أَن لَّا تَكُونَ مُتَعَارِضَةً مَعَ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ المُبِينِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ العَظِيمُ، وَلَا يَجْزِمُ المُفَسِّرُ بِأَنَّ المُنَاسَبَةَ هِيَ مُرَادُ الله

تَعَالَى، لِأَنَّ غَايَةَ الأَمْرِ أَنَّ هَذَا مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ وَتَدَبُّرُهُ وَاسْتِنْبَاطُهُ، وَعَلَى الجُمْلَةِ فَإِنَّ هَذِهِ الشُّرُوطَ هِيَ مَا يُشْتَرَطُ فِي قَبُولِ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ فِي الغَالِبِ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِهِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِهِ، وَالله أَعْلَم[١].

❁ المُنَاسَبَةُ بَيْنَ السُّورَةِ وَالَّتِي قبلهَا:

لَقَدْ اجْتَهَدَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ وَحَاوَلُوا أَن يُحَدِّدُوا المُنَاسَبَةَ بَيْنَ ﴿سُورَةُ المُلْكِ﴾ و﴿سُورَةُ التَّحرِيمِ﴾ فَقَالُوا:

«وَوَجْهُ مُنَاسَبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ضَرَبَ مَثَلًا لِلْكُفَّارِ بِتَيْنَك المَرْأَتَيْنِ المَحْتُومِ لَهُمَا بِالشَّقَاوَةِ ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ﴾ [التحريم:١٠] وَإِنْ كَانَتَا تَحْتَ نَبِيَّيْنِ عَظِيمَيْنِ وَمَثَّلَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِآسِيَةَ وَمَرْيَمَ وَهُمَا مَحْتُومٌ لَهُمَا بِالسَّعَادَةِ وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ قَوْمِهِمَا كُفَّارًا افْتَتَحَ هَذِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى إِحَاطَتِهِ عَزَّوَجَلَّ وَقَهْرِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي مُلْكِهِ عَلَى مَا سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ»[٢].

❁ المُنَاسَبَةُ بَيْنَ السُّورَةِ وَالَّتِي بَعْدَهَا:

وَأَمَّا المُنَاسَبَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ﴿سُورَةُ القَلَمِ﴾ فَقَدْ قَالَ أَهْلُ العِلْمِ:

«وَمُنَاسَبَتُهَا (أَيْ سُورَةُ القَلَمِ) لِسُورَةِ المُلْكِ عَلَى مَا قِيلَ مِنْ جِهَةِ خَتْمِ تِلْكَ بِالوَعِيدِ وَافْتِتَاحِ هَذِهِ بِهِ، وَقَالَ الجَلَالُ السُّيُوطِيُّ فِي ذَلِكَ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَا ذَكَرَ فِي آخِرِ المُلْكِ التَّهْدِيدَ بِتَغْوِيرِ المَاءِ اسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ بِإِذْهَابِ ثَمَرِ أَصْحَابِ البُسْتَانِ فِي لَيْلَةٍ بِطَائِفٍ طَافَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحُوا وَلَمْ

(١) انْظُرْ: «الإِتْقَان فِي عُلُوم القُرْآن» (٢/ ٢١٢)، وَ«مَبَاحِث فِي عُلُوم القُرْآن» (ص ٩١)، وَ«عِلْمُ المُنَاسَبَاتِ فِي السُّوَرِ وَالآيَات» (ص ٤١).

(٢) «رُوحُ المَعَانِي» (٢٩/ ٣).

يَجِدُوا لَهُ أَثَرًا حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الثِّمَارِ وَهِيَ أَجْرَامٌ كَثِيفَةٌ فَالمَاءُ الَّذِي هُوَ لَطِيفٌ أَقْرَبُ إِلَى الإِذْهَابِ...»[١].

مُنَاسَبَةُ بِدَايَةِ السُّورَةِ مَعَ آخِرِهَا:

«بُدِئَتْ بِوَصْفِ القُدْرَةِ[٢]، وَخُتِمَتْ بِمَعْنَاه، وَهُوَ عَجْزُ الخَلْقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾»[٣].

(١) «رُوحُ المَعَانِي» (٢٩/ ٢٣).
(٢) أَيْ قَوْل الله تَعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.
(٣) «مَرَاصِدُ المَطَالِع فِي تَنَاسُبِ المَقَاطِعِ وَالمَطَالِع» (ص٧٣).

الوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ:

أَغْرَاضُ سُورَةِ المُلْكِ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحَوَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إِنِّـي لَأَقْـرَأُ القُـرْآنَ وَانْظُـرُ فِـي آيِـهِ فَيَحِيـرُ عَقْلِـي بِهَـا، وَأَعْجَـبُ مِـنْ حُفَّـاظِ القُـرْآنِ كَيْـفَ يُهَنِّيهُـمْ النَّـوْم وَيَسَـعُهُمْ أَنْ يَشْـتَغِلُوا بِشَـيْءٍ مِـنَ الدُّنْيَـا وَهُـمْ يَتْلُـونَ كَلَامَ اللهِ؟! أَمَـا إِنَّهُـمْ لَـوْ فَهِمُـوا مَـا يَتْلُـونَ وَعَرَفُـوا حَقَّـهُ، فَتَلَـذَّذُوا بِـهِ وَاسْتَحَلُّوا المُنَاجَاة لَذَهَبَ عَنْهُمْ النَّوْمُ فَرَحًا بِمَا قَدْ رُزِقُوا»

«لَطَائِفُ المَعَارِف» (ص ٢٠٣)

«وَالْأَغْرَاضُ الَّتِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ جَارِيَةٌ عَلَى سُنَنِ الْأَغْرَاضِ فِي السُّور المَكِّيَّة.

ابْتُدِئَتْ بِتَعْرِيفِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَانِيَ مِنَ الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَفَرُّدَهُ بِالْمُلْكِ الْحَقِّ وَالنَّظَرَ فِي إِتْقَانِ صُنْعِهِ الدَّالِّ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ فَبِذَلِكَ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ حَظٌّ لِعِظَةِ الْمُشْرِكِينَ.

وَمِنْ ذَلِكَ التَّذْكِيرُ بِأَنَّهُ أَقَامَ نِظَامَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ لِتَظْهَرَ فِي الْحَالَيْنِ مَجَارِي أَعْمَالِ الْعِبَادِ فِي مَيَادِينِ السَّبَقِ إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَنَتَائِجِ مَجَارِيهَا.

وَأَنَّهُ الَّذِي يُجَازِي عَلَيْهَا.

وَانْفِرَادُهُ بِخَلْقِ العَوَالِمِ الْعُلْيَا خَلْقًا بَالِغًا غَايَةَ الْإِتْقَانِ فِيمَا تُرَادُ لَهُ.

وَأَتْبَعَهُ بِالْأَمْرِ بِالنَّظَرِ فِي ذَلِكَ وَبِالْإِرْشَادِ إِلَى دَلَائِلِهِ الْإِجْمَالِيَّةِ وَتِلْكَ دَلَائِلُ عَلَى انْفِرَادِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ.

مُتَخَلِّصًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى تَحْذِيرِ النَّاسِ مِنْ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ، وَالِارْتِبَاقِ مَعَهُمْ فِي رِبْقَةِ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَنَّ فِي اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ نَجَاةً مِنْ ذَلِكَ وَفِي تَكْذِيبِهِ الْخُسْرَانَ، وَتَنْبِيهُ الْمُعَانِدِينَ لِلرَّسُولِ ﷺ إِلَى عِلْمِ اللهِ بِمَا يُحُوكُونَهُ لِلرَّسُولِ ظَاهِرًا وَخُفْيَةً بِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ مُحِيطٌ بِمَخْلُوقَاتِهِ.

وَالتَّذْكِيرُ بِمِنَّةِ خَلْقِ الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ، وَدِقَّةِ نِظَامِهِ، وَمُلَاءَمَتِهِ لِحَيَاةِ النَّاسِ، وَفِيهَا سَعْيُهُمْ وَمِنْهَا رِزْقُهُمْ.

وَالْمَوْعِظَةُ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِفْسَادِ ذَلِكَ النِّظَامِ فَيُصْبِحُ النَّاسُ فِي كَرْبٍ وَعَنَاءٍ لِيَتَذَكَّرُوا قِيمَةَ النِّعَمِ بِتَصَوُّرِ زَوَالِهَا.

وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا فِي لُطْفِهِ تَعَالَى بِهِمْ بِلُطْفِهِ بِالطَّيْرِ فِي طَيَرَانِهَا.

وَآيَسَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى نُصْرَةِ الْأَصْنَامِ أَوْ عَلَى أَنْ تَرْزُقَهُمْ رِزْقًا.

وَفَظَّعَ لَهُمْ حَالَةَ الضَّلَالِ الَّتِي وَرَّطُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهَا.

ثُمَّ وَبَّخَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى وَقَاحَتِهِمْ فِي الِاسْتِخْفَافِ بِوَعِيدِهِ وَأَنَّهُ وَشِيكُ الْوُقُوعِ بِهِمْ.

وَوَبَّخَهُمْ عَلَى اسْتِعْجَالِهِمْ مَوْتَ النَّبِي ﷺ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ دَعْوَتِهِ.

وَأَوْعَدَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ ضَلَالَهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْعِلْمُ، وَأَنْذَرَهُمْ بِمَا قَدْ يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ قحط وَغَيره»[١].

(١) «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِير» (١٢/ ٧).

الوَقْفَةُ الرَّابِعَةُ:

تَفْسِيرُ سُورَةِ المُلْكِ

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لَـوْ عَلِـمَ النَّـاسُ مَا فِي قِـرَاءَةِ القُـرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ لَاشْـتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِـوَاهَا، فَـإِذَا قَـرَأَهُ بِتَفَكُّـرٍ حَتَّـى مَـرَّ بِآيَـةٍ وَهُـوَ مُحْتَـاجٌ إِلَيْهَا فِي شِـفَاءِ قَلْبِـهِ كَرَّرَهَـا وَلَوْ مِئَـةَ مَـرَّةٍ، وَلَـوْ لَيْلَـة؛ فَقِرَاءَةُ آيَـةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفَهُّـمٍ خَيْرٌ مِنْ قِـرَاءَةِ خَتْمَةٍ بِغَيْـرِ تَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ، وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَدْعَى إِلَى حُصُولِ الإِيمَان وَذَوْقِ حَلَاوَةِ القُرْآن»

«مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَة» (٥٣٥/١)

سُورَةُ المُلكِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ
وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ
سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن
فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾
وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ
عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾
إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ
أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا
وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ
نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ
﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ
قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ
ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ
مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ

ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ
إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ
ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن
يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً
سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا القُرْآنَ رَسَائِلَ مِن رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ»(١).

وَمَنْ عَلِمَ كِتَابَ اللَّهِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَزْدَجِرَ بِنَوَاهِيهِ، وَيَتَذَكَّرَ مَا شُرِحَ لَهُ فِيهِ، وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ، وَيُرَاقِبَهُ وَيَسْتَحِيِيهِ، فَإِنَّهُ حُمِّلَ أَعْبَاءَ الرُّسُلِ، وَصَارَ شَهِيدًا فِي الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ... فَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِحِفْظِ كِتَابِهِ أَنْ يَتْلُوَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَيَتَدَبَّرَ حَقَائِقَ عِبَارَتِهِ، وَيَتَفَهَّمَ عَجَائِبَهُ، وَيَتَبَيَّنَ غَرَائِبَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [مُحمد:٢٤](٢). وَالطَّرِيقُ المُوصِلَةُ المُؤَصِّلَةُ لِتَدَبُّرِ كِتَابِ الله وَتَفَهُّمِ كَلَامِ الله هُوَ عِلْمُ التَّفْسِير.

١/ تَمْجِيد لله العَزِيزِ المَجِيد(٣).

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ أَيْ: تَعَاظَمَ وَتَعَالَى، وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ، مِنْ عَظَمَتِهِ أَنْ بَيَدِهِ مُلْكُ العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ بِمَا شَاءَ، مِنَ الأَحْكَامِ القَدَرِيَّةِ، وَالأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، التَّابِعَةِ لِحِكْمَتِهِ، وَمِنْ

(١) «التِّبْيَان فِي آدَابِ حَمَلَةِ القُرْآن» (ص٥٤).
(٢) انْظُرْ: «تَفْسِير القُرْطُبِي» (١/ ٢).
(٣) اعْتَمَدتُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى تَفْسِيرِ العَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعَنَوتُ لِبَعْضِ الفَقَرَاتِ لِزِيَادَةِ المَعَانِي تَوْضِيحًا وَبَيَانًا، وَاللهُ المُوَفِّقُ.

عَظَمَتِهِ، كَمَالُ قُدْرَتِهِ الَّتِي يَقْدِرُ بِهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا أَوْجَدَ مَا أَوْجَدَ مِنَ المَخْلُوقَاتِ العَظِيمَةِ، كَالسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.

وَخَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ أَيْ: قَدَّرَ لِعِبَادِهِ أَنْ يُحْيِيَهُمْ ثُمَّ يُمِيتَهُمْ؛ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أَيْ: أَخْلَصَهُ وَأَصْوَبَهُ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ عِبَادَهُ، وَأَخْرَجَهُمْ لِهَذِهِ الدَّارِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ سَيُنْقَلُونَ مِنْهَا، وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، وَابْتَلَاهُمْ بِالشَّهَوَاتِ المُعَارِضَةِ لِأَمْرِهِ، فَمَنْ انْقَادَ لِأَمْرِ اللهِ وَأَحْسَنَ العَمَلَ، أَحْسَنَ اللهُ لَهُ الجَزَاءَ فِي الدَّارَيْنِ، وَمَنْ مَالَ مَعَ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَنَبَذَ أَمْرَ اللهِ، فَلَهُ شَرُّ الجَزَاءِ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَهُ العِزَّةُ كُلُّهَا، الَّتِي قَهَرَ بِهَا جَمِيعَ الأَشْيَاءِ، وَانْقَادَتْ لَهُ المَخْلُوقَاتُ ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ عَنِ المُسِيئِينَ وَالمُقَصِّرِينَ وَالمُذْنِبِينَ، خُصُوصًا إِذَا تَابُوا وَأَنَابُوا، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، وَلَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ، وَيَسْتُرُ عُيُوبَهُمْ، وَلَوْ كَانَتْ مِلْءَ الدُّنْيَا.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أَيْ: كُلٌّ وَاحِدَةٍ فَوْقَ الأُخْرَى، وَلَيْسَتْ طَبَقَةً وَاحِدَةً، وَخَلَقَهَا فِي غَايَةِ الحُسْنِ وَالإِتْقَانِ ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أَيْ: خَلَلٍ وَنَقْصٍ.

وَإِذَا انْتَفَى النَّقْصُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، صَارَتْ حَسَنَةً كَامِلَةً، مُتَنَاسِبَةً مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فِي لَوْنِهَا وَهَيْئَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالكَوَاكِبِ النَّيِّرَاتِ، الثَّوَابِتِ مِنْهُنَّ وَالسَّيَّارَاتِ.

وَلَمَّا كَانَ كَمَالُهَا مَعْلُومًا، أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِتِكْرَارِ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَالتَّأَمُّلِ فِي أَرْجَائِهَا، قَالَ: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أَيْ: أَعِدْهُ إِلَيْهَا، نَاظِرًا مُعْتَبِرًا ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أَيْ: نَقْصٍ وَاخْتِلَالٍ.

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ المُرَادُ بِذَلِكَ: كَثْرَة التِّكْرَار ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ أَيْ: عَاجِزًا عَنْ أَنْ يَرَى خَلَلًا أَوْ فُطُورًا، وَلَوْ حَرَصَ غَايَةَ الحِرْصِ.

٢/ النَّارُ وَشِدَّتُهَا، وَصِفَاتُ أَهْلِهَا(١).

ثُمَّ صَرَّحَ بِذِكْرِ حُسْنِهَا فَقَالَ:

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

أَيْ: وَلَقَدْ جَمَّلْنَا ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ الَّتِي تَرَوْنَهَا وَتَلِيكُمْ، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وَهِيَ: النُّجُوم، عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي النُّورِ وَالضِّيَاء، فَإِنَّهُ لَوْلَا مَا فِيهَا مِنَ النُّجُومِ، لَكَانَتْ سَقْفًا مُظْلِمًا، لَا حُسْنَ فِيهِ وَلَا جَمَال.

وَلَكِنْ جَعَلَ اللهُ هَذِهِ النُّجُوم زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَمَالًا، وَنُورًا وَهِدَايَةً يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْر، وَلَا يُنَافِي إِخْبَارَهُ أَنَّهُ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ،

---

(١) وَلِلإِمَامِ ابْنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كِتَابٌ قَيِّمٌ نَفِيسٌ فِي التَّذْكِيرِ بِحَالِ الفُجَّارِ وَالكُفَّارِ فِي النَّارِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ بِعُنْوَان: «التَّخْوِيف مِنَ النَّار وَالتَّعْرِيفُ بِحَالِ أَهْلِ البَوَار» (ص ١٨)، وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ: «كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّهُ فِيهَا لِأَعْدَائِهِ مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَال، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الزَّقُّومِ وَالضَّرِيعِ وَالحَمِيمِ وَالسَّلَاسِلِ وَالأَغْلَال، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهَا مِنَ العَظَائِمِ وَالأَهْوَال، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ إِلَى خَشْيَتِهِ وَتَقْوَاه، وَالمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُحِبُّهُ وَيَرْضَاه، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْبَاه».

أَنْ يَكُونَ كَثِيرٌ مِنَ النُّجُومِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، فَإِنَّ السَّمَاوَات شَفَّافَة، وَبِذَلِكَ تَحْصُلُ الزِّينَةُ لِلسَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِن لَّمْ تَكُنْ الكَوَاكِبُ فِيهَا، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ أَيْ: المَصَابِيح ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ الَّذِينَ يُرِيدُونَ اسْتِرَاقَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَجَعَلَ الله هَذِهِ النُّجُوم، حِرَاسَةً لِلسَّمَاءِ عَنْ تَلَقُّفِ الشَّيَاطِينِ أَخْبَار الأَرْض، فَهَذِهِ الشُّهُبُ الَّتِي تُرْمَى مِنَ النُّجُوم، أَعَدَّهَا الله فِي الدُّنْيَا لِلشَّيَاطِين، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ فِي الآخِرَةِ ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ لِأَنَّهُمْ تَمَرَّدُوا عَلَى الله، وَأَضَلُّوا عِبَادَهُ، وَلِهَذَا كَانَ أَتْبَاعُهُمْ مِنَ الكُفَّارِ مِثْلَهُم، قَدْ أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ الَّذِي يُهَانُ أَهْلُهُ غَايَةَ الهَوَان.

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ عَلَى وَجْهِ الإِهَانَةِ وَالذُّلِّ ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ أَيْ: صَوْتًا عَالِيًا فَظِيعًا، ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أَيْ: تَكَادُ عَلَى اجْتِمَاعِهَا أَنْ يُفَارِقَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَتَقَطَّعُ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا عَلَى الكُفَّارِ، فَمَا ظَنُّكَ مَا تَفْعَلُ بِهِمْ، إِذَا حُصِّلُوا فِيهَا؟! ثُمَّ ذَكَرَ تَوْبِيخَ الخَزَنَةِ لِأَهْلِهَا فَقَالَ: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟ أَيْ: حَالُكُمْ هَذَا وَاسْتِحْقَاقُكُمْ النَّار، كَأَنَّكُمْ لَمْ تُخْبَرُوا عَنْهَا، وَلَمْ تُحَذَّرُكُمْ النُّذُرُ مِنْهَا.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ فَجَمَعُوا بَيْنَ تَكْذِيبِهِمْ الخَاصّ، وَالتَّكْذِيبِ العَام بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ الله وَلَمْ يَكْفِهِمْ ذَلِك، حَتَّى أَعْلَنُوا بِضَلَالِ الرُّسُلِ المُنْذِرِين وَهُمْ الهُدَاةُ المُهْتَدُون، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِمُجَرَّدِ الضَّلَال، بَلْ جَعَلُوا ضَلَالَهُمْ، ضَلَالًا كَبِيرًا، فَأَيُّ عِنَادٍ وَتَكَبُّرٍ وَظُلْمٍ، يُشْبِهُ هَذَا؟

﴿قَالُوا۟﴾ مُعْتَرِفِينَ بِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِمْ لِلْهُدَى وَالرَّشَاد: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ

﴿أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فَنَفَوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ طُرُقَ الهُدَى، وَهِيَ السَّمْعُ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَجَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَالعَقْلُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، وَيُوقِفُهُ عَلَى حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ، وَإِيثَارِ الخَيْرِ، وَالانْزِجَارِ عَنْ كُلِّ مَا عَاقِبَتُهُ ذَمِيمَةٌ، فَلَا سَمْعَ لَهُمْ وَلَا عَقْلَ، وَهَذَا بِخِلَافِ أَهْلِ اليَقِينِ وَالعِرْفَانِ، وَأَرْبَابِ الصِّدْقِ وَالإِيمَانِ، فَإِنَّهُمْ أَيَّدُوا إِيمَانَهُمْ بِالأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ، فَسَمِعُوا مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَجَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَعَمَلًا.

وَالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ: المُعَرِّفَةِ لِلْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَالحُسْنِ مِنَ القَبِيحِ، وَالخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ، وَهُمْ فِي الإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الاقْتِدَاءِ بِالمَعْقُولِ وَالمَنْقُولِ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَخْتَصُّ بِفَضْلِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِلْخَيْرِ.

قَالَ تَعَالَى عَنْ هَؤُلَاءِ الدَّاخِلِينَ لِلنَّارِ، المُعْتَرِفِينَ بِظُلْمِهِمْ وَعِنَادِهِمْ:

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أَيْ: بُعْدًا لَهُمْ وَخَسَارَةً وَشَقَاءً.

فَمَا أَشْقَاهُمْ وَأَرْدَاهُمْ، حَيْثُ فَاتَهُمْ ثَوَابُ اللهِ، وَكَانُوا مُلَازِمِينَ لِلسَّعِيرِ، الَّتِي تَسْتَعِرُ فِي أَبْدَانِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ!

٣/ آثَارُ خَشْيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَبَيَانُ شَيْءٍ مِن نِّعَمِهِ وَآلَائِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

لَمَا ذَكَرَ حَالَةَ الأَشْقِيَاءِ الفُجَّارِ، ذَكَرَ حَالَةَ السُّعَدَاءِ الأَبْرَارِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أَيْ: فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، حَتَّى فِي الحَالَةِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِيهَا إِلَّا اللهُ، فَلَا يُقْدِمُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَلَا يُقَصِّرُونَ فِيمَا أُمِرُوا بِهِ

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لِذُنُوبِهِمْ، وَإِذَا غَفَرَ الله ذُنُوبَهُمْ؛ وَقَاهُمْ شَرَّهَا، وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ، وَلَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَهُوَ مَا أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي الجَنَّة، مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ، وَالمُلْكِ الكَبِير، وَاللَّذَّاتِ المُتَوَاصِلَات، وَالمُشْتَهِيَات، وَالقُصُورِ وَالمَنَازِلِ العَالِيَات، وَالحُورِ الحِسَان، وَالخَدَمِ وَالوِلْدَان.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْبَر، رِضَا الرَّحْمَن، الَّذِي يُحِلُّه الله عَلَى أَهْلِ الجِنَان.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ الله بِسِعَةِ عِلْمِهِ، وَشُمُولِ لُطْفِهِ فَقَال: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ أَيْ: كُلُّهَا سَوَاءٌ لَدَيْهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا خَافِيَة، فَـ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أَيْ: بِمَا فِيهَا مِنَ النِّيَّات، وَالإِرَادَات، فَكَيْفَ بِالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، الَّتِي تُسْمَعُ وَتُرَى؟!

ثُمَّ قَالَ -مُسْتَدِلًّا بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ عَلَى عِلْمِهِ-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ فَمَنْ خَلَقَ الخَلْق وَأَتْقَنَهُ وَأَحْسَنَهُ، كَيْفَ لَا يَعْلَمُه؟! ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الَّذِي لَطُفَ عِلْمُهُ وَخَبَرَه، حَتَّى أَدْرَكَ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِر، وَالخَبَايَا وَالخَفَايَا وَالغُيُوب، وَهُوَ الَّذِي ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

وَمِنْ مَعَانِيَ اللَّطِيف، أَنَّهُ الَّذِي يَلْطُفُ بِعَبْدِهِ وَوَلِيِّه، فَيَسُوقُ إِلَيْهِ البِرَّ وَالإِحْسَانِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُر، وَيَعْصِمُهُ مِنَ الشَّرِّ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب، وَيُرَقِّيه إِلَى أَعْلَى المَرَاتِب، بِأَسْبَابٍ لَا تَكُونُ مِنَ العَبْدِ عَلَى بَال، حَتَّى إِنَّهُ يُذِيقُهُ المَكَارِه، لِيَتَوَصَّل بِهَا إِلَى المَحَابِّ الجَلِيلَة، وَالمَقَامَاتِ النَّبِيلَة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

أَيْ: هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الأَرْضَ وَذَلَّلَهَا، لِتُدْرِكُوا مِنْهَا كُلَّ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ حَاجَتُكُمْ، مِنْ غَرْسٍ وَبِنَاءٍ وَحَرْثٍ، وَطُرُقٍ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الأَقْطَارِ النَّائِيَةِ وَالبُلْدَانِ الشَّاسِعَةِ، ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أَيْ: لِطَلَبِ الرِّزْقِ وَالمَكَاسِبِ.

﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أَيْ: بَعْدَ أَنْ تَتَنَقَّلُوا مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ امْتِحَانًا، وَبُلْغَةً يَتَبَلَّغُ بِهَا إِلَى الدَّارِ الآخِرَةِ، تَبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَتُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ، لِيُجَازِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمُ الحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ.

٤/ عَظَمَةُ اللهِ وَقُدْرَتُهُ.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

هَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ، لِمَنْ اسْتَمَرَّ فِي طُغْيَانِهِ وَتَعَدِّيهِ، وَعِصْيَانِهِ المُوجِبِ لِلنَّكَالِ وَحُلُولِ العُقُوبَةِ، فَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وَهُوَ اللهُ تَعَالَى، العَالِي عَلَى خَلْقِهِ.

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ بِكُمْ وَتَضْطَرِبُ، حَتَّى تُتْلِفَكُمْ وَتُهْلِكَكُمْ.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أَيْ: عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ يَحْصُبُكُمْ، وَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْكُمْ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أَيْ: كَيْفَ يَأْتِيكُمْ مَا أَنْذَرَتْكُمْ بِهِ الرُّسُلُ وَالكُتُبُ، فَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ أَمْنَكُمْ مِنَ اللهِ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ بِعِقَابٍ مِنَ الأَرْضِ وَمِنَ السَّمَاءِ يَنْفَعُكُمْ، فَسَتَجِدُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ، سَوَاءٌ طَالَ عَلَيْكُمُ الزَّمَانُ أَوْ قَصُرَ، فَإِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، كَذَّبُوا كَمَا كَذَّبْتُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى، فَانْظُرُوا كَيْفَ

إِنْكَارُ اللهِ عَلَيْهِمْ، عَاجَلَهُمْ بِالعُقُوبَةِ الدُّنْيَوِيَّة، قَبْلَ عُقُوبَةِ الآخِرَة، فَاحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

وَهَذَا عِتَابٌ وَحَثٌّ عَلَى النَّظَرِ إِلَى حَالَةِ الطَّيْرِ الَّتِي سَخَّرَهَا اللهُ، وَسَخَّرَ لَهَا الجَوَّ وَالهَوَاءَ، تَصِفُّ فِيهِ أَجْنِحَتَهَا لِلطَّيَرَان، وَتَقْبِضُهَا لِلْوُقُوع، فَتَظَلُّ سَابِحَةً فِي الجَوِّ، مُتَرَدِّدَةً فِيهِ بِحَسَبِ إِرَادَتِهَا وَحَاجَتِهَا.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فَإِنَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَهُنَّ الجَوَّ، وَجَعَلَ أَجْسَادَهُنَّ وَخِلْقَتَهُنَّ فِي حَالَةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِلطَّيَرَان، فَمَنْ نَظَرَ فِي حَالَةِ الطَّيْرِ وَاعْتَبَرَ فِيهَا، دَلَّتْهُ عَلَى قُدْرَةِ البَارِي، وَعِنَايَتِهِ الرَّبَّانِيَّة، وَأَنَّهُ الوَاحِدُ الأَحَد، الَّذِي لَا تَنْبَغِي العِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ فَهُوَ المُدَبِّرُ لِعِبَادِهِ بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ، وَتَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

٥/ لَا مَرَدَّ لِأَمْرِ اللهِ وَحُكْمِهِ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِلْعُتَاةِ النَّافِرِينَ عَنْ أَمْرِهِ، المُعْرِضِينَ عَنِ الحَقِّ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أَيْ: يَنْصُرُكُمْ إِذَا أَرَادَ بِكُمُ الرَّحْمَنُ سُوءًا، فَيَدْفَعُهُ عَنْكُمْ؟ أَيْ: مَنْ الَّذِي يَنْصُرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ غَيْرَ الرَّحْمَن؟ فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ النَّاصِرُ المُعِزُّ المُذِلُّ، وَغَيْرُهُ مِنَ الخَلْقِ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى نَصْرِ عَبْدٍ لَمْ يَنْفَعُوهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عَلَى أَيِّ عَدُوٍّ كَان، فَاسْتِمْرَارُ الكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَنْصُرُهُمْ أَحَدٌ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ غُرُورٌ وَسَفَهٌ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ أَيْ: الرِّزْقُ كُلُّهُ مِنَ اللهِ، فَلَوْ أَمْسَكَ عَنْكُمْ رِزْقَهُ، فَمَنِ الَّذِي يُرْسِلُهُ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الخَلْقَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى رِزْقِ أَنْفُسِهِمْ، فَكَيْفَ بِغَيْرِهِمْ؟ فَالرَّزَّاقُ المُنْعِمُ، الَّذِي لَا يُصِيبُ العِبَادُ نِعْمَةً إِلَّا مِنْهُ، هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُفْرَدَ بِالعِبَادَةِ، وَلَكِنَّ: الكَافِرُونَ ﴿لَّجُّوا۟﴾ أَيْ: اسْتَمَرُّوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ أَيْ: قَسْوَةٍ وَعَدَمِ لِينٍ لِلْحَقِّ ﴿وَنُفُورٍ﴾ أَيْ: شُرُودٍ عَنِ الحَقِّ.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

أَيْ: أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَهْدَى؟ مَنْ كَانَ تَائِهًا فِي الضَّلَالِ، غَارِقًا فِي الكُفْرِ قَدِ انْتَكَسَ قَلْبُه، فَصَارَ الحَقُّ عِنْدَهُ بَاطِلًا وَالبَاطِلُ حَقًّا؟ وَمَنْ كَانَ عَالِمًا بِالحَقِّ، مُؤْثِرًا لَهُ، عَامِلًا بِهِ، يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ؟ فَبِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَى حَالِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، يُعْلَمُ الفَرْقُ بَيْنَهُمَا، وَالمُهْتَدِي مِنَ الضَّالِّ مِنْهُمَا، وَالأَحْوَالُ أَكْبَرُ شَاهِدٍ مِنَ الأَقْوَالِ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

يَقُولُ تَعَالَى -مُبَيِّنًا أَنَّهُ المَعْبُودُ وَحْدَهُ، وَدَاعِيًا عِبَادَهُ إِلَى شُكْرِهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ-: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أَيْ: أَوْجَدَكُمْ مِنَ العَدَمِ، مِنْ غَيْرِ مَعَاوِنٍ لَهُ وَلَا مُظَاهِرٍ، وَلَمَّا أَنْشَأَكُمْ، كَمَّلَ لَكُمُ الوُجُودَ بِالسَّمْعِ وَالأَبْصَارِ وَالأَفْئِدَةِ، الَّتِي هِيَ أَنْفَعُ أَعْضَاءِ البَدَنِ وَأَكْمَلُ القِوَى الجِسْمَانِيَّة، وَلَكِنَّهُ مَعَ هَذَا الإِنْعَامِ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ، قَلِيلٌ مِنْكُمُ الشَّاكِرِ، وَقَلِيلٌ مِنْكُمُ الشُّكْرُ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: بَثَّكُمْ فِي أَقْطَارِهَا، وَأَسْكَنَكُمْ فِي أَرْجَائِهَا، وَأَمَرَكُمْ، وَنَهَاكُمْ، وَأَسْدَى عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ مَا بِهِ تَنْتَفِعُونَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْشُرُكُمْ لِيَوْمِ القِيَامَةِ.

٦/ حَالُ المُنْكِرِ لِلْبَعْثِ فِي الآخِرَةِ.

وَلَكِنَّ هَذَا الوَعْدُ بِالجَزَاءِ، يُنْكِرُهُ هَؤُلَاءِ المُعَانِدُونَ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ تَكْذِيبًا:

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ جَعَلُوا عَلَامَةَ صِدْقِهِمْ أَنْ يُخْبِرُوا بِوَقْتِ مَجِيئِهِ، وَهَذَا ظُلْمٌ وَعِنَادٌ فَإِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ لَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ، وَلَا مُلَازَمَةَ بَيْنَ صِدْقِ هَذَا الخَبَرِ وَبَيْنَ الإِخْبَارِ بِوَقْتِهِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يُعْرَفُ بِأَدِلَّتِهِ، وَقَدْ أَقَامَ اللهُ مِنَ الأَدِلَّةِ وَالبَرَاهِينِ عَلَى صِحَّتِهِ مَا لَا يَبْقَى مَعَهُ أَدْنَى شَكٍّ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ ﴿٣٠﴾﴾

يَعْنِي أَنَّ مَحَلَّ تَكْذِيبِ الكُفَّارِ وَغُرُورِهِمْ بِهِ حِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الجَزَاءِ، وَرَأَوْا العَذَابَ مِنْهُمْ ﴿زُلْفَةً﴾ أَيْ: قَرِيبًا، سَاءَهُمْ ذَلِكَ وَأَفْظَعَهُمْ، وَقَلْقَلَ أَفْئِدَتَهُمْ، فَتَغَيَّرَتْ لِذَلِكَ وُجُوهُهُمْ، وَوُبِّخُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ، وَقِيلَ لَهُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، فَاليَوْمَ رَأَيْتُمُوهُ عَيَانًا، وَانْجَلَى لَكُمُ الأَمْرُ، وَتَقَطَّعَتْ بِكُمُ الأَسْبَابُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُبَاشَرَةُ العَذَابِ.

وَلَمَّا كَانَ المُكَذِّبُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ الَّذِينَ يَرُدُّونَ دَعْوَتَهُ، يَنْتَظِرُونَ هَلَاكَهُ،

وَيَتَرَبَّصُونَ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: أَنْتُمْ وَإِنْ حَصَلَتْ لَكُمْ أَمَانِيكُمْ وَأَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَكُمْ شَيْئًا، لِأَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللهِ، وَاسْتَحْقَقْتُمْ العَذَابَ، فَمَنْ يُجِيرُكُمْ مِنَ عَذَابٍ أَلِيمٍ قَدْ تَحَتَّمَ وُقُوعُهُ بِكُمْ؟ فَإِذًا، تَعَبُكُمْ وَحِرْصُكُمْ عَلَى هَلَاكِي غَيْرُ مُفِيدٍ، وَلَا مُجْدٍ عَنْكُمْ شَيْئًا.

وَمِنْ قَوْلِهِمْ، إِنَّهُمْ عَلَى هُدًى، وَالرَّسُولُ عَلَى ضَلَالٍ، أَعَادُوا فِي ذَلِكَ وَأَبْدَوْا، وَجَادَلُوا عَلَيْهِ وَقَاتَلُوا، فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ حَالِهِ وَحَالِ أَتْبَاعِهِ، مَا بِهِ يَتَبَيَّنُ لِكُلِّ أَحَدٍ هُدَاهُمْ وَتَقْوَاهُمْ، وَهُوَ أَنْ يَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وَالإِيمَانُ يَشْمَلُ التَّصْدِيقَ البَاطِنَ، وَالأَعْمَالَ البَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ، وَلَمَّا كَانَتِ الأَعْمَالُ، وُجُودُهَا وَكَمَالُهَا، مَتَوَقِّفَةً عَلَى التَّوَكُّلِ، خَصَّ اللهُ التَّوَكُّلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَعْمَالِ، وَإِلَّا فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الإِيمَانِ، وَمِنْ جُمْلَةِ لَوَازِمِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة:٢٣] فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالُ الرَّسُولِ وَحَالُ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَهِيَ الحَالُ الَّتِي تَتَعَيَّنُ لِلْفَلَاحِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا السَّعَادَةُ، وَحَالَةُ أَعْدَائِهِ بِضِدِّهَا، فَلَا إِيمَانَ لَهُمْ وَلَا تَوَكُّلَ، عُلِمَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ عَلَى هُدًى، وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

٧/ انْفِرَادُ اللهِ بِنِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ انْفِرَادِهِ بِالنِّعَمِ، خُصُوصًا بِالمَاءِ الَّذِي جَعَلَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فَقَالَ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أَيْ: غائرًا ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ تَشْرَبُونَ مِنْهُ، وَتَسْقُونَ أَنْعَامَكُمْ وَأَشْجَارَكُمْ وَزُرُوعَكُم؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى[١].

(١) «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ المَنَّانِ» (ص ٨٧٥).

الوَقْفَةُ الخَامِسَةُ:
فَضَائِلُهَا، وَهَدْيُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم فِي قِرَاءَتِهَا

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَمَا أَشَدَّهَا مِنْ حَسْرَة، وَأَعْظَمَهَا مِنْ غَبْنَة، عَلَى مَنْ أَفْنَى أَوْقَاتَهُ فِي طَلَبِ العِلْمِ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فَهِمَ حَقَائِقَ القُرْآن، وَلَا بَاشَرَ قَلْبُهُ أَسْرَارَهُ وَمَعَانِيه، فَالله المُسْتَعَان»

«بَدَائِعُ الفَوَائِد» (٢٠١/١)

أ/ فَضَائِلُهَا:

١/ أَنَّهَا تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**»(١).

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ بَاز رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ السُّورَة: «.. سُورَةٌ عَظِيمَةٌ، يَنْبَغِي الإِكْثَارُ مِنْ تِلَاوَتِهَا وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّعَقُّلِ، وَالقُرْآنُ شَافِعٌ كُلُّهُ لِمَنْ أَخَذِ بِهِ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهِ، شَافِعٌ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّار»(٢).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِم» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ..**»(٣).

قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِح العُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**«يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا»**: فَالشَّفِيعُ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّفَاعَةِ؛ وَهِيَ فِي الأَصْلِ جَعْلُ الوِتْرِ شَفْعًا، وَفِي الاصْطِلَاحِ: هِيَ التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ بِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ»(٤).

٢/ أَنَّهَا تُخَاصِمُ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سُورَةٌ مِنَ القُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا**

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِه» (٧٩٧٥)، وَأَبُو دَاوُد (١٤٠٠)، وَالتِّرْمِذِي (٣١٣٤)، وَابْنُ مَاجَه (٣٧٨٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَه» (٣٠٥٣).

(٢) «شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِين» (٣/ ٣٥٦).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِم (٨٠٤).

(٤) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِم» (٤/ ٣٣٢).

ثَلَاثُونَ آيَة خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَك»[١].

٣/ قِرَاءَتُهَا كُلَّ لَيْلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَكُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُسَمِّيهَا المَانِعَةَ، وَإِنَّهَا فِي كِتَابِ اللهِ سُورَةَ مَنْ قَرَأَ بِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ»[٢].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ فَتُؤْتَى رِجْلَاهُ فَتَقُولُ رِجْلَاهُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ أَوْ قَالَ: بَطْنِهِ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ، فَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ سُورَةُ الْمُلْكِ مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ»[٣].

ب/ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِرَاءَتِهَا:

القُرْآنُ العَظِيمُ كُلُّهُ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّ السُّوَرَ وَالآيَاتِ تَتَفَاضَلُ فِيمَا بَيْنَهَا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ عُلِمَ أَنَّ تَفَاضُلَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَيْسَ بِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ وَلَكِنْ بِاعْتِبَارِ

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي «المُعْجَمِ الصَّغِيرِ» (٤٩٠)، وَالضِّيَاءُ فِي «الأَحَادِيثِ المُخْتَارَة» (١٧٣٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٥٩٥٧).

(٢) رَوَاهُ النَّسَائِي فِي «عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَة» (٧١١)، وَالطَّبَرَانِي فِي «المُعْجَمِ الأَوْسَطِ» (٦٢١٦)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (١٥٨٩).

(٣) رَوَاهُ البَيْهَقِي فِي «شُعَبِ الإِيمَان» (٢٢٧٩)، وَالحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِه» (٣٨٣٩)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (١٤٧٥).

مَعَانِيهِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا، وَبِاعْتِبَارِ أَلْفَاظِهِ الْمُبَيِّنَةِ لِمَعَانِيهِ»[١]، وَالْمُتَأَمِّلُ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ السُّوَرَ وَالآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا الفَضْلُ أَنَّهُ كَانَ يُكَرِّرُهَا فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ كَسُورَةِ الفَاتِحَةِ، وَآيَةِ الكُرْسِيِّ، وَأَوَاخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَالمُعَوِّذَاتِ، وَمِنْهَا كَذَلِكَ سُورَة المُلْك، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بِتَنْزِيلَ السَّجْدَةِ وَبِتَبَارَكَ**»[٢].

قَالَ أَهْلُ العِلْمِ فِي شَرْحِ هَذَا الحَدِيثِ: «قَالَ الطِّيبِيُّ: «**حَتَّى**» غَايَةٌ؛ «**لَا يَنَامُ**»، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِذَا دَخَلَ وَقْتُ النَّوْمِ «**لَا يَنَامُ**» حَتَّى يَقْرَأَهُمَا وَأَنْ يَكُونَ «**لَا يَنَامُ**» مُطْلَقًا حَتَّى يَقْرَأَهُمَا، وَالْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ النَّوْمُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، فَتَقَعُ الْقِرَاءَةُ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ النَّوْمِ أَيَّ وَقْتٍ كَانَ، وَلَوْ قِيلَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُهُمَا بِاللَّيْلِ لَمْ يُفِدْ هَذِهِ الْفَائِدَةَ، انْتَهَى»[٣].

فَائِدَةٌ مِنْ كَلَامِ الإِمَامِ ابْنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فِي هَدْيِهِ ﷺ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَاسْتِمَاعِهِ وَخُشُوعِهِ وَبُكَائِهِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ وَاسْتِمَاعِهِ وَتَحْسِينِ صَوْتِهِ بِهِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ:

كَانَ لَهُ ﷺ حِزْبٌ يَقْرَؤُهُ وَلَا يُخِلّ بِهِ وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ تَرْتِيلًا لَا هَذًّا وَلَا عَجَلَةً بَلْ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا، وَكَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً وَكَانَ يَمُدّ عِنْدَ حُرُوفِ الْمَدّ فَيَمُدّ الرَّحْمَنَ وَيَمُدّ الرَّحِيمَ وَكَانَ يَسْتَعِيذُ بِاَللّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ قِرَاءَتِهِ فَيَقُولُ:

---

(١) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (١٧/ ١٢٩).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِه» (١٤٦٥٩)، وَالتِّرْمِذِي (٢٨٩٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٤٨٧٣).

(٣) «تُحْفَةُ الأَحْوَذِي» (٩/ ٢٤٧).

«أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ» وَكَانَ تَعَوُّذُهُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ وَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ، وَخَشَعَ ﷺ لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ حَتَّى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، وَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمُتَوَضِّئًا وَمُحْدِثًا وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قِرَاءَتِهِ إِلَّا الْجَنَابَةُ»[1].

مُعَادَلَةٌ:

حِفْظُكَ لِآيَةٍ وَاحِدَةٍ يَوْمِيًّا مِنْ سُورَةِ المُلْكِ فَقَطْ

=

حِفْظُكَ لِلسُّورَةِ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ فَقَط!

إِذًا بَادِرْ وَشَمِّرْ..وَتَوَكَّلْ عَلَى الله؛

فَإِنَّهُ مَن يَتَوَكَّلُ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ وَمُؤْوِيه، وَمُعِينُهُ وَكَافِيه.

(١) «زَادُ المَعَاد» (١/ ٤٦٣).

الوَقْفَةُ السَّادِسَةُ:

لَطَائِفُ وَفَوَائِدُ مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ المُلْكِ

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَبَرِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَإِنَّ أَحَقَّ مَا صُرِفَتْ إِلَى عِلْمِهِ العِنَايَة، وَبُلِغَتْ فِي مَعْرِفَتِهِ الغَايَة، مَا كَان لله فِي العِلْمِ بِهِ رِضًا، وَلِلْعَالِمِ بِهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ هُدًى، وَأَنَّ أَجْمَعَ ذَلِكَ لِبَاغِيهِ؛ كِتَابُ الله الَّذِي لَا رَيْبَ فِيه، وَتَنْزِيلُهُ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيه، الفَائِزُ بِجَزِيلِ الذُّخْرِ وَسَنِيِّ الأَجْرِ تَالِيه، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِه، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد»

«جَامِعُ البَيَان» (٦/١)

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [المُلك:١].

١ - قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَأَمَّا البَرَكَةُ فَكَذَلِكَ نَوْعَانِ أَيْضًا:

أَحَدُهُمَا: بَرَكَةٌ هِيَ فِعْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالفِعْلُ مِنْهَا (بَارَك) وَيَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ تَارَةً، وَبِأَدَاةِ (عَلَى) تَارَةً، وَبِأَدَاةِ (فِي) تَارَةً، وَالمَفْعُولُ مِنْهَا (مُبَارَك)، وَهُوَ مَا جَعَلَ كَذَلِكَ فَكَانَ مُبَارَكًا بِجَعْلِهِ تَعَالَى.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: بَرَكَةٌ تُضَافُ إِلَيْهِ إِضَافَةَ الرَّحْمَةِ وَالعِزَّةِ، وَالفِعْلُ مِنْهَا (تَبَارَك)، وَلِهَذَا لَا يُقَالُ لِغَيْرِهِ ذَلِكَ، وَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ عَزَّوَجَلَّ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ المُتَبَارِك، وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُبَارَك، كَمَا قَالَ المَسِيحُ: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مَريَم:٣١]، فَمَنْ بَارَكَ اللهُ فِيهِ وَعَلَيْهِ فَهُوَ المُبَارَك.

وَأَمَّا صِيغَتُهُ (تَبَارَك) فَمُخْتَصَّةٌ بِهِ تَعَالَى كَمَا أَطْلَقَهَا عَلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعرَاف:٥٤]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك:١]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنُون:١٤]، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٥]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفُرقَان:١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفُرقَان:١٠]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفُرقَان:٦١].

أَفَلَا تَرَاهَا كَيْفَ اطَّرَدَتْ فِي القُرْآنِ جَارِيَةً عَلَيْهِ مُخْتَصَّةً بِهِ، لَا تُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ، وَجَاءَتْ عَلَى بِنَاءِ السَّعَةِ وَالمُبَالَغَةِ، كَتَعَالَى وَتَعَاظَمَ وَنَحْوِهِ، فَجَاءَ بِنَاءُ (تَبَارَك) عَلَى بِنَاءَ (تَعَالَى) الَّذِي هُوَ دَالٌّ عَلَى كَمَالِ العُلُوِّ وَنِهَايَتِهِ، فَكَذَلِكَ

(تَبَارَكَ) دَالٌّ عَلَى كَمَالِ بَرَكَتِهِ وَعِظَمِهَا وَسِعَتِهَا»[١].

□ **هَلِ اليَدُ وَاحِدَةٌ أَوْ مُتَعَدِّدَةٌ؟**

□ **قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ العُثَيْمِين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَأَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِ اليَدَيْنِ لله، فَيَجِبُ إِثْبَاتَهُمَا لَهُ بِدُونِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَهُمَا يَدَان حَقِيقِيَّتَانِ لله تعالى تَلِيقَانِ بِهِ.

وَقَدْ فَسَّرَهُمَا أَهْلُ التَّعْطِيلِ بِالنِّعْمَةِ أَوِ القُدْرَةِ وَنَحْوِهَا، وَنَرَدُّ عَلَيْهِمْ...أَنَّ فِي السِّيَاقِ مَا يَمْنَعُ تَفْسِيرَهُمَا بِذَلِكَ قَطْعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ:٧٥]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «**وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القَبْض**».

الأَوْجُهُ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْهَا صِفَةُ اليَدَيْنِ وَكَيْفَ نُوَفِّقُ بَيْنَهَا:

الأَوَّلُ: الإِفْرَادُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك:١].

الثَّانِي: التَّثْنِيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة:٦٤].

الثَّالِثُ: الجَمْعُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يسٓ:٧١].

وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذِهِ الوُجُوه أَن نَّقُولَ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ مُفْرَدٌ مُضَافٌ فَيَشْمَلُ كُلَّ مَا ثَبَتَ لله مِنْ يَدٍ وَلَا يُنَافِي التَّثْنِيَةَ، وَأَمَّا الجَمْعُ فَهُوَ لِلتَّعْظِيمِ لَا لِحَقِيقَةِ العَدَدِ الَّذِي هُوَ ثَلَاثَةٌ فَأَكْثَر وَحِينَئِذٍ لَا يُنَافِي التَّثْنِيَةَ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ: إِنَّ أَقَلَّ الجَمْعِ اِثْنَان فَإِذَا حُمِلَ الجَمْعُ عَلَى أَقَلِّهِ فَلَا

(١) «بَدَائِعُ الفَوَائِد» (٢/ ٤١٠).

مُعَارَضَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّثْنِيَةِ أَصْلًا»[١].

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [المُلك:٢].

٢- قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الأَمِينُ الشَّنْقِيطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَقَالَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ المُلْكِ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ ثُمَّ بَيَّنَ الحِكْمَةَ فَقَالَ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك:٢] فَهَذِه الآيَاتُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ خَلَقَ الخَلْقَ لِيَمْتَحِنَهُمْ، وَهَذَا لَا يُنَافِي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّاريَات:٥٦] أَيْ: إِلَّا لِآمُرَهُمْ بِعِبَادَتِي عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِي، وَأَمْتَحِنَهُمْ فَيَظْهَرُ المُحْسِنُ مِنْهُمْ وَغَيْرَ المُحْسِنِ، فَلَمَّا كَانَ الإِحْسَانُ هُوَ الَّذِي خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِهِ، أَرَادَ جِبْرِيلُ أَنْ يُنَبِّهَ الصَّحَابَةَ عَلَى الطَرِيقِ إِلَيْهِ فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ**» ﷺ، فَبَيَّنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ طَرِيقَ الإِحْسَانِ مَحْصُورَةٌ فِي هَذَا الزَّاجِرِ الأَكْبَرِ، وَالوَاعِظِ الأَعْظَمِ، وَهُوَ أَن يَّعْلَمَ العَبْدُ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ المِسْكِينُ أَنَّ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، حَاضِرٌ لَا يَغِيبُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فِعْلِهِ، يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَفْعَلُ؛ وَلِذَا قَالَ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»»[٢].

٣- قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾: «قَدَّمَ الْمَوْتَ عَلَى الْحَيَاةِ، لِأَنَّ أَقْوَى النَّاسِ دَاعِيًا إِلَى الْعَمَلِ مَنْ نَصَبَ مَوْتَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقُدِّمَ لِأَنَّهُ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الْغَرَضِ

(١) «شَرْحُ لُمْعَةِ الاعْتِقَاد» (ص ٣٥).
(٢) «العَذْبُ النَّمِير» (٣/ ٦٦).

الْمَسُوقِ لَهُ الْآيَةُ أَهَمُّ»[١].

٤- «**وَقَالَ الفُضَيْلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، وَقَالَ: إِنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصاً، وَلَمْ يَكُنْ صَوَاباً، لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَاباً، وَلَمْ يَكُنْ خَالِصاً، لَمْ يُقْبَل حَتَّى يَكُونَ خَالِصاً صَوَاباً، قَالَ: وَالخَالِصُ إِذَا كَانَ لله عَزَّوَجَلَّ، وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّة.

وَقد دَّلَّ عَلَى هَذَا الَّذِي قَالَهُ الفُضَيْلُ قَوْلُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وَقَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ: إِنَّمَا تَفَاضَلُوا بِالإِرَادَات، وَلَمْ يَتَفَاضَلُوا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاة»[٢].

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك:٥].

٥- عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: «إِنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: خَلَقَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا؛ فَمَنْ يَتَأَوَّلُ مِنْهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِهِ، وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»[٣].

□ **تَوْضِيحٌ**:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: «عَادَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِي» (١٨/ ٢٠٦).
(٢) «جَامِعُ العُلُومِ وَالحِكَم» (ص ٣٦).
(٣) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِه» (٢٣/ ٥٠٨).

عَلَى جِنْسِ المَصَابِيحِ لَا عَلَى عَيْنِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُرْمَى بِالكَوَاكِبِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ، بَلْ بِشُهُبٍ مِنْ دُونِهَا، وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَمَدَّةً مِنْهَا، وَالله أَعْلَمُ»[1].

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾ [المُلك:٨ - ٩].

٦- قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَذْكُرُ تَعَالَى عَدْلَهُ فِي خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسرَاء:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزُّمَر:٧١]، وَهَكَذَا عَادُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ، وَنَدِمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُمُ النَّدَامَةُ، فَقَالُوا: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك:١٠]، أَيْ لَوْ كَانَتْ لَنَا عُقُولٌ نَنْتَفِعُ بِهَا لَمَا كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ، مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالِاغْتِرَارِ بِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَهْمٌ نَعِي بِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَلَا كَانَ لَنَا عَقْلٌ يُرْشِدُنَا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك:١١]»[2].

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك:١٠].

٧- قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الأَمِينُ الشَّنْقِيطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَالعَقْلُ الصَّحِيحُ هُوَ الَّذِي يَعْقِلُ صَاحِبَهُ عَنِ الوُقُوعِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي، كَمَا

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِير» (٨/ ١٧٧).
(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِير» (٤/ ٥٠٩).

قَالَ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الكُفَّارِ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك:١٠] أَمَّا العَقْلُ الَّذِي لَا يَزْجُرُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَهُوَ عَقْلٌ دُنْيَوِيٌّ يَعِيشُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَلَيْسَ هُوَ العَقْل بِمَعْنَى الكَلِمَةِ»[(١)].

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك:١٤].

٨- قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ دَلَّتْ عَلَى عِلْمِهِ بِالْأَشْيَاءِ مِنْ وُجُوهٍ تَضَمَّنَتْ الْبَرَاهِينَ الْمَذْكُورَةَ لِأَهْلِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ خَالِقٌ لَهَا وَالْخَلْقُ هُوَ الْإِبْدَاعُ بِتَقْدِيرٍ فَتَضَمَّنَ تَقْدِيرُهَا فِي الْعِلْمِ قَبْلَ تَكْوِينِهَا.

الثَّانِي: أَنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ؛ فَيَلْزَمُ تَصَوُّرُ الْمُرَادِ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ الْمَشْهُورَةُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْهُ وَهُوَ سَبَبُهَا التَّامُّ وَالْعِلْمُ بِالْأَصْلِ يُوجِبُ الْعِلْمَ بِالْفَرْعِ فَعِلْمُهُ بِنَفْسِهِ يَسْتَلْزِمُ عِلْمَ كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ لَطِيفٌ يُدْرِكُ الدَّقِيقَ خَبِيرٌ يُدْرِكُ الْخَفِيَّ وَهَذَا هُوَ الْمُقْتَضِي لِلْعِلْمِ بِالْأَشْيَاءِ فَيَجِبُ وُجُودُ الْمُقْتَضِي لِوُجُودِ السَّبَبِ التَّامِّ»[(٢)].

---

(١) «العَذْبُ النَّمِير» (١/ ١١٦).

(٢) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (١/ ٤٣٢).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [المُلك:١٦ - ١٧].

٩- قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ العُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ الله عَزَّوَجَلَّ، لَكِنَّهُ كَنَّى عَن نَّفْسِهِ بِهَذَا؛ لِأَنَّ المَقَامَ مَقَامُ إِظْهَارِ عَظَمَتِهِ، وَأَنَّهُ فَوْقَكُمْ، قَادِرٌ عَلَيْكُمْ، مُسَيْطِرٌ عَلَيْكُمْ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّ العَالِيَ لَهُ سُلْطَةٌ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ»(١).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك:١٥].

١٠- قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الأَمِينُ الشَّنْقِيطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَالْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ لِلْإِبَاحَةِ، وَلَكِنَّ التَّقْدِيمَ لِهَذَا الْأَمْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾ فِيهِ امْتِنَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ مِمَّا يُشْعِرُ أَنَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَعَ الْإِبَاحَةِ تَوْجِيهًا وَحَثًّا لِلْأُمَّةِ عَلَى السَّعْيِ وَالْعَمَلِ وَالْجِدِّ، وَالْمَشْيِ فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ لِتَسْخِيرِهَا وَتَذْلِيلِهَا، مِمَّا يَجْعَلُ الْأُمَّةَ أَحَقَّ بِهَا مِنْ غَيْرِهَا»(٢).

«وَنُلَاحِظُ أَنَّ الله قَدْ أَمَرَ الإِنْسَانَ بِالمَشْيِ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، بَيْنَمَا طَالَبَنَا بِالسَّعْيِ فِي الانْطِلَاقِ لِعِبَادَةِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجُمعة:٩] لِيُقَدِّمَ الإِنْسَانُ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا

(١) «شَرْحُ العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ» (ص٢٩٠).
(٢) «أَضْوَاءُ البَيَان» (٥/ ٤٢٣).

فِي الطَّلَبِ، لِيَكُونَ عَمَلُهُ لِدَارِ البَقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ لِدَارِ الفَنَاءِ»[١].

❁ «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [المُلك:١٩].

١١- قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الأَمِينُ الشَّنْقِيطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الطَّيْرُ صَافَّاتٌ: أَيْ: مَادَّاتٌ أَجْنِحَتَهَا ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أَيْ: يَضُمَّنَهَا إِلَى أَجْسَامِهَا.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: عَطْفٌ بِالْفِعْلِ وَيَقْبِضْنَ عَلَى الِاسْمِ، صَافَّاتٍ، وَلَمْ يَعْطِفْ بِاسْمِ قَابِضَاتٍ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الطَّيَرَانِ هُوَ بَسْطُ الْجَنَاحِ، وَالْقَبْضُ طَارِئٌ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَبُو حَيَّانَ: جَارٍ عَلَى الْقَاعِدَةِ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنَّ الِاسْمَ لِلدَّوَامِ وَالثُّبُوتِ، وَالْفِعْلَ لِلتَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ، فَالْحَرَكَةُ الدَّائِمَةُ فِي الطَّيَرَانِ هِيَ صَفُّ الْجَنَاحِ، وَالْجَدِيدُ عَلَيْهِ هُوَ الْقَبْضُ»[٢].

❁ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المُلك:٢٢].

١٢- قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَالْكَافِرُ مَثَلُهُ فِيمَا هُوَ فِيهِ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ أَيْ يَمْشِي مُنْحَنِيًا لَا مُسْتَوِيًا ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ أَيْ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَسْلُكُ وَلَا كَيْفَ يَذْهَبُ، بَلْ تَائِهٌ حَائِرٌ ضَالٌّ، أَهَذَا أَهْدَى ﴿أَمَّن يَمْشِى

(١) «التَّفْسِيرُ المَوْضُوعِي لِسُوَرِ القُرْآن» (٨/ ٢٧٨).
(٢) «أَضْوَاءُ البَيَان» (٥/ ٤٢٥)

سَوِيًّا﴾ أَيْ مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أَيْ عَلَى طَرِيقٍ وَاضِحٍ بَيِّن، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُسْتَقِيم، وَطَرِيقُهُ مُسْتَقِيمَةٌ، هَذَا مَثَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ، فَالْمُؤْمِنُ يُحْشَرُ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مستقيم، مُفْضٍ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ»[(١)].

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [المُلك:٣٠].

١٣- قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَد (بْنِ حَنْبَل): كَانَ أَبِي لَا يَدَعُ أَحَدًا يَسْتَقِي لَهُ المَاءَ لِلْوُضُوءِ، بَلْ كَانَ يَلِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، فَإِذَا خَرَجَ الدَّلْوُ مَلآن قَالَ: الحَمْدُ لله.

فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ مَا الفَائِدَةُ بِذَلِكَ؟ قَالَ: يَا بُنَيْ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [المُلك:٣٠][(٢)].

١٤- «وَمِنَ النَّوَادِرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي «الْكَشَّافِ» مَعَ مَا نُقِلَ عَنْهُ فِي «بَيَانِهِ»، قَالَ: وَعَنْ بَعْضِ الشُّطَّارِ (هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ الطَّبِيبُ كَمَا بَيَّنَهُ الْمُصَنِّفُ فِيمَا نُقِلَ عَنْهُ) أَنَّهَا (أَيْ هَذِهِ الْآيَةِ) تُلِيَتْ عِنْدَهُ فَقَالَ: تَجِيءُ بِهِ (أَي المَاء) الفُؤُوسُ وَالْمَعَاوِلُ، فَذَهَبَ مَاءُ عَيْنَيْهِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى آيَاتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[(٣)].

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِير» (٤/ ٥١١).

(٢) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١٠/ ٣٦٣).

(٣) «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِير» (٢٩/ ٥٦).

الوَقْفَةُ السَّابِعَةُ:

أَسْمَاءُ اللهِ الحُسْنَى الوَارِدَة فِي سُورَةِ المُلْك

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَالسَّيْرُ إِلَى اللهِ مِنْ طَرِيقِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ شَأْنُهُ عَجَبٌ، وَفَتْحُهُ عَجَبٌ، صَاحِبُهُ قَدْ سِيقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِهِ غَيْرَ تَعِبٍ وَلَا مَكْدُودٍ وَلَا مُشَتَّتٍ عَنْ وَطَنِهِ وَلَا مُشَرَّدٍ عَنْ سَكَنِه»

«طريق الهجرتين» (ص٣٣٤)

إِنَّ العِلْمَ بِالله أَشْرَفُ العُلُوم، وَأَفْضَلُ الفُهُوم، وَهُوَ أَجَلُّهَا عَلَى الإِطْلَاق، وَأَنْفَعُهَا بِاتِّفَاق، وَهُوَ عِلْمٌ مُبَارَك، كَثِيرُ العَوَائِد، غَزِيرُ الفَوَائِد، وَمُتَنَوِّعُ الثِّمَار وَالآثَار.

يُورِثُ تَعْظِيمَ عَلَّامِ الغُيُوب فِي القُلُوب، فَتُثْمِرُ شَجَرَةُ الإِيمَانِ اسْتِسْلَامًا وَإِسْلَامًا، إِيقَانًا وَإِحْسَانًا.

فَالاشْتِغَالُ بِطَلَبِهِ وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَاه، اشْتِغَالٌ بِأَعْلَى المَطَالِب، وَحَصُولُهُ وَتَحْصِيلُهُ لِلْعَبْدِ مِنْ أَشْرَفِ المَوَاهِب، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الله تَعَالَى تَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَإِخْلَاصِ العَمَلِ لَه، وَهَذَا عَيْنُ سَعَادَةِ العَبْد؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الله تَعَالَى **إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي فَهْمِ مَعَانِيهَا،** وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ الكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [البَقَرَة:٢١ - ٢٢].

وَإِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ العَظِيمَةَ حَوَتْ عَلَى العَدِيدِ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى؛ الدَّالَّةِ عَلَى الجَمَال وَالجَلَال وَالكَمَال لله الكَبِيرِ المُتَعَال، الَّذِي تَتَعَلَّق بِهِ الآمَال؛ وَرَحِمَ الله الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ عَرَفَ الله بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَة»(١).

«وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى... ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر:٢٨] أَيْ: إِنَّمَا

(١) «الفَوَائِد» (ص ٩٩).

يَخْشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ العُلَمَاءُ العَارِفُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتْ المَعْرِفَةُ لِلْعَظِيمِ القَدِيرِ العَلِيمِ المَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الكَمَالِ المَنْعُوتِ بِالأَسْمَاءِ الحُسْنَى، كُلَّمَا كَانَتْ المَعْرِفَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالعِلْمُ بِهِ أَكْمَل، كَانَتْ الخَشْيَةُ لَهُ أَعْظَمَ وَأَكْثَر»[١].

وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَمُرَّ مُرُورَ الكِرَامِ عَنِ الآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى، بَلْ يَقِفُ عِنْدَهَا وَيَطْلُبُ مَعَانِيهَا وَيَتَدَبَّرُ فِيهَا لِعِظَمِ مَكَانَتِهَا وَفَضْلِهَا، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالقُرْآنُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ الله وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَكْثَر مِمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنِّكَاحِ فِي الجَنَّةِ، وَالآيَاتِ المُتَضَمِّنَة لِذِكْرِ أَسْمَاءِ الله وَصِفَاتِهِ أَعْظَم قَدْرًا مِنْ آيَاتِ المَعَاد»[٢].

اسْمُ الله تَعَالَى: الله جَلَّ جَلَالُهُ

«﴿ٱللَّهُ﴾: هُوَ المَأْلُوهُ المَعْبُودُ، ذُو الأُلُوهِيَّة، وَالعُبُودِيَّة عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِين، لِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الأُلُوهِيَّةِ الَّتِي هِيَ صِفَاتُ الكَمَال، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ الله الَّذِي لَهُ جَمِيعُ مَعَانِي الأُلُوهِيَّةِ وَأَنَّهُ هُوَ المَأْلُوهُ المُسْتَحِقُّ لِمَعَانِيَ الأُلُوهِيَّةِ كُلِّهَا، الَّتِي تُوجِبُ أَنْ يَكُونَ المَعْبُودُ وَحْدَهُ، المَحْمُودُ وَحْدَهُ، المَشْكُورُ وَحْدَهُ، المُعَظَّمُ المُقَدَّسُ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَام.

وَاسْمُ الله هُوَ الجَامِعُ لِجَمِيعِ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ العُلَى، وَالله أَعْلَم»[٣].

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِير» (٦/ ٥٤٤).

(٢) «دَرْءُ التَّعَارُض» (٣/ ٦١).

(٣) «تَفْسِيرُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى» (ص١٤)، لِلْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

اسْمَا الله تَعَالَى: الرَّحْمَن والرَّحِيم

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسْمَانِ دَالَّانِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى ذُو الرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ العَظِيمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَعَمَّتْ كُلَّ حَيٍّ، وَكَتَبَهَا لِلْمُتَّقِينَ المُتَّبِعِينَ لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَهَؤُلَاءِ لَهُمُ الرَّحْمَةُ المُطْلَقَةُ، وَمَنْ عَدَاهُمْ فَلَهُمْ نَصِيبٌ مِنْهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ القَوَاعِدِ المُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، الإِيمَان بِأَسْمَاءِ الله وَصِفَاتِهِ، وَأَحْكَامِ الصِّفَات.

فَيُؤْمِنُونَ مَثَلًا بِأَنَّهُ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ، ذُو الرَّحْمَةِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا، المُتَعَلِّقَة بِالمَرْحُوم، فَالنِّعَم كُلّها، أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِه، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الأَسْمَاء، يُقَالُ فِي العَلِيم: إِنَّهُ عَلِيمٌ ذُو عِلْمٍ، يَعْلَمُ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ، قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ[1].

اسْمُ الله تَعَالَى: العَزِيزُ

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: «فَهُوَ تَعَالَى كَامِلُ القُوَّةِ عَظِيمُ القُدْرَةِ شَامِلُ العِزَّةِ: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يُونس:٦٥].

العَزِيزُ الَّذِي لَهُ العِزَّةُ كُلّها عِزَّةُ القُوَّة، وَعِزَّةُ الغَلَبَة، وَعِزَّةُ الامْتِنَاع، فَمُمْتَنَعٌ أَنْ يَنَالَهُ أَحَدٌ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَقَهَرَ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ، وَدَانَتْ لَهُ الخَلِيقَةُ وَخَضَعَتْ لِعَظَمَتِه.

فَمَعَانِي العِزَّةِ الثَّلَاث كُلّها كَامِلَةٌ لله العَظِيم: عِزَّةُ القُوَّةِ الدَّالِ عَلَيْهَا مِنْ أَسْمَائِهِ القَوِيّ المَتِين، وَهِيَ وَصْفُهُ العَظِيم الَّذِي لَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ قُوَّةُ المَخْلُوقَات

(١) «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» (ص٣٩).

وَإِنْ عَظُمَت، وَعِزَّةُ الامْتِنَاع فَإِنَّهُ هُوَ الغَنِيُّ بِذَاتِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْلُغُ العِبَادُ ضُرَّهُ فَيَضُرُّونَه، وَلَا نَفْعَهُ فَيَنْفَعونَهُ بَلْ هُوَ الضَّارُّ النَّافِعُ المُعْطِي المَانِع، وَعِزَّةُ القَهْرِ وَالغَلَبَةِ لِكُلِّ الكَائِنَات فَهِيَ كُلّهَا مَقْصُورَةٌ لله خَاضِعَةٌ لِعَظَمَتِهِ مُنْقَادَةٌ لِإِرَادَتِه، فَجَمِيعُ نَوَاصِي المَخْلُوقَات بِيَدِه، لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهَا مُتَحَرِّكٌ وَلَا يَتَصَرَّفُ مُتَصَرِّفٌ إِلَّا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَإِذْنِه، فَمَا شَاءَ الله كَان، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ»[1].

اسْمُ الله تَعَالَى: الغَفُورُ:

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: «الغَفَّارُ: الَّذِي لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ بِالعَفْوِ مَعْرُوفاً، وَبِالغُفْرَانِ، وَالصَّفْحِ عَنْ عِبَادِهِ مَوْصُوفاً.

كُلُّ أَحَدٍ مُضْطَرٌّ إِلَى عَفْوِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ كَمَا هُوَ مُضْطَرٌّ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَكَرَمِهِ وَقَدْ وَعَدَ بِالمَغْفِرَةِ، وَالعَفْوِ لِمَنْ أَتَى بِأَسْبَابِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]»[2].

اسْمُ الله تَعَالَى: اللَّطِيفُ

﴿ٱللَّطِيفُ﴾: «الَّذِي لَطُفَ عِلْمُهُ حَتَّى أَدْرَكَ الخَفَايَا، وَالخَبَايَا، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ الصُّدُور، وَمَا فِي الأَرَاضِي مِنْ خَفَايَا البُذُور وَلَطَفَ بِأَوْلِيَائِهِ، وَأَصْفِيَائِهِ، فَيَسَّرَهُمْ لِلْيُسْرَى وَجَنَّبَهُمْ العُسْرَى، وَسَهَّلَ لَهُمْ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَحَفِظَهُمْ مِنْ كُلِّ سَبَبٍ وَوَسِيلَةٍ تُوصِلُ إِلَى سَخَطِه، مِنْ طُرُقٍ يَشْعُرُونَ بِهَا، وَمِنْ طُرُقٍ لَا يَشْعُرُونَ بِهَا، وَقَدَّرَ عَلَيْهِمْ أُمُوراً يَكْرَهُونَهَا لِيُنِيلَهُمْ مَا يُحِبُّون،

(١) «تَفْسِيرُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى» (ص٦١).
(٢) «تَفْسِيرُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى» (ص٦٥).

فَلَطَفَ بِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فَأَجْرَاهُمْ عَلَى عَوَائِدِهِ الجَمِيلَة، وَصَنَائِعِهِ الكَرِيمَة، وَلَطَفَ لَهُمْ فِي أُمُورٍ خَارِجَةٍ عَنْهُمْ لَهُمْ فِيهَا كُلُّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ وَنَجَاحٍ، فَاللَّطِيفُ مُتَقَارِبٌ لِمَعَانِي الخَبِير، الرَّؤُوف، الكَرِيم...

وَاعْلَمْ أَنَّ اللُّطْفَ الَّذِي يَطْلُبُهُ العِبَادُ مِنَ الله بِلِسَانِ المَقَالِ، وَلِسَانِ الحَالِ هُوَ مِنَ الرَّحْمَةِ بَلْ هُوَ رَحْمَةٌ خَاصَّة، فَالرَّحْمَةُ الَّتِي تَصِلُ العَبْدَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهَا أَوْ لَا يَشْعُرُ بِأَسْبَابِهَا هِيَ اللُّطْفُ؛ فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: يَا لَطِيف اُلْطُفْ بِي أَوْ لِي، وَأَسْأَلُكَ لُطْفَكَ، فَمَعْنَاهُ: تَوَلَّنِي وِلَايَةً خَاصَّةً بِهَا تَصْلُحُ أَحْوَالِي الظَّاهِرَة، وَالبَاطِنَة وَبِهَا تَنْدَفِعُ عَنِّي جَمِيعَ المَكْرُوهَاتِ مِنَ الأُمُورِ الدَاخِلِيَّةِ وَالأُمُورِ الخَارِجِيَّة.

فَالأُمُورُ الدَّاخِلِيَّةُ لُطْفٌ بِالعَبْدِ.

وَالأُمُورُ الخَارِجِيَّةُ لُطْفٌ لِلْعَبْدِ؛ فَإِذَا يَسَّرَ الله عَبْدَهُ وَسَهَّلَ طَرِيقَ الخَيْرِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ لَطَفَ بِهِ، وَإِذَا قَيَّضَ الله لَهُ أَسْبَاباً خَارِجِيَّةً غَيْرَ دَاخِلَةٍ تَحْتَ قُدْرَةِ العَبْدِ فِيهَا صَلَاحُهُ فَقَدْ لَطَفَ لَهُ، وَلِهَذَا لَمَّا تَنَقَّلَتْ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِلْكَ الأَحْوَالِ، وَتَطَوَّرَتْ بِهِ الأَطْوَارُ مِنْ رُؤْيَاه، وَحَسَدِ إِخْوَتِهِ لَهُ، وَسَعْيِهِمْ فِي إِبْعَادِهِ جِدًّا، وَاخْتِصَامِهِمْ بِأَبِيهِمْ ثُمَّ مِحْنَتِهِ بِالنِّسْوَةِ ثُمَّ بِالسِّجْنِ ثُمَّ بِالخُرُوجِ مِنْهُ بِسَبَبِ رُؤْيَا المَلِكِ العَظِيمَةِ، وَانْفِرَادِهِ بِتَعْبِيرِهَا، وَتَبَوُّئِهِ مِنَ الأَرْضِ حَيْثُ يَشَاء، وَحُصُولِ مَا حَصَلَ عَلَى أَبِيهِ مِنَ الابْتِلَاءِ، وَالامْتِحَانِ ثُمَّ حَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الاجْتِمَاعُ السَّارُّ، وَإِزَالَةُ الأَكْدَارِ وَصَلَاحِ حَالَةِ الجَمِيعِ وَالاجْتِبَاءُ العَظِيمُ لِيُوسُفَ؛ عَرَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ وَغَيْرَهَا لُطْفُ الله لَهُمْ بِهِ فَاعْتَرَفَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يُوسُف: ١٠٠] أَيْ:

لُطْفُهُ تَعَالى خَاصٌّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ يَعْلَمُهُ تَعَالَى مَحَلًّا لِذَلِكَ وَأَهْلاً لَهُ فَلَا يَضَعُهُ إِلَّا فِي مَحَلِّهِ(١).

واللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَضَعُ فَضْلَهُ فَإِذَا رَأَيْتَ اللهَ تَعَالَى قَدْ يَسَّرَ العَبْدَ لِلْيُسْرَى، وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيقَ الخَيْرِ، وَذَلَّلَ لَهُ صِعَابَهُ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَهُ، وَنَهَجَ لَهُ طُرُقَهُ، وَمَهَّدَ

(١) لِلْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رِسَالَةٌ بِعُنْوَان: «**فَوَائِدُ مُسْتَنْبَطَة مِنْ قِصَّةِ يُوسُف** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

مَسْأَلَةٌ:

قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ لِمَ سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ أَحْسَنَ القَصَصِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَقَاصِيصِ؟

فَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَيْسَتْ قِصَّةٌ فِي القُرْآنِ تَتَضَمَّنُ مِنَ العِبَرِ وَالحِكَمِ مَا تَتَضَمَّنُ هَذِهِ القِصَّةُ؛ وَبَيَانُهُ قَوْلُهُ فِي آخِرِهَا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [**يُوسُف**:١١١].

وَقِيلَ: سَمَّاهَا أَحْسَنَ القَصَصِ لِحُسْنِ مُجَاوَزَةِ يُوسُف عَنْ إِخْوَتِهِ، وَصَبْرِهِ عَلَى أَذَاهُمْ، وَعَفْوِهِ عَنْهُمْ -بَعْدَ الالْتِقَاءِ بِهِمْ- عَنْ ذِكْرِ مَا تَعَاطَوْهُ، وَكَرَمِهِ فِي العَفْوِ عَنْهُمْ، حَتَّى قَالَ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [**يُوسُف**:٩٢].

وَقِيلَ: لِأَنَّ فِيهَا ذِكْرُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِين، وَالجِنِّ وَالإِنْسِ وَالأَنْعَام وَالطَّيْرِ، وَسِيَرِ المُلُوكِ وَالمَمَالِكِ، وَالتُّجَّارِ وَالعُلَمَاءِ وَالجُهَّالِ، وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَحِيلِهِنَّ وَمَكْرِهِنَّ، وَفِيهَا ذِكْرُ التَّوْحِيدِ وَالفِقْهِ وَالسِّيَرِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، وَالسِّيَاسَةِ وَالمُعَاشَرَةِ وَتَدْبِيرِ المَعَاشِ، وَجُمَلِ الفَوَائِدِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَقِيلَ: لِأَنَّ فِيهَا ذِكْرُ الحَبِيبِ وَالمَحْبُوبِ وَسِيَرِهِمَا.

وَقِيلَ: ﴿أَحْسَنَ﴾ [**يُوسُف**:١٠٠] هُنَا بِمَعْنَى أَعْجَب، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ المَعَانِي: إِنَّمَا كَانَتْ أَحْسَنَ القَصَصِ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ ذُكِرَ فِيهَا كَانَ مَآلُهُ السَّعَادَة؛ انْظُرْ إِلَى يُوسُف وَأَبِيه وَإِخْوَتِه، وَامْرَأَةَ العَزِيز؛ قِيلَ: وَالمَلِك أَيْضًا أَسْلَمَ بِيُوسُف وَحَسُنَ إِسْلَامه، وَمُسْتَعْبِرِ الرُّؤْيَا السَّاقِي، وَالشَّاهِدِ فِيمَا يُقَالُ: فَمَا كَانَ أَمْرُ الجَمِيعِ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ» «الجَامِعُ لِأَحْكَامِ القُرْآن» (٩/ ١٢٠).

وَرَحِمَ اللهُ الإِمَامَ ابْنَ القَيِّمِ لَمَّا قَالَ: «وَفِي هَذِهِ القِصَّةِ مِنَ العِبَرِ وَالفَوَائِدِ وَالحِكَمِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَلْف فَائِدَة لَعَلَّنَا إِنْ وَفَّقَنَا اللهُ أَنْ نُفْرِدَهَا فِي مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ» «الجَوَابُ الكَافِي» (ص١٤٩).

لَهُ أَسْبَابَهُ، وَجَنَّبَهُ العُسْرَى فَقَدْ لَطَفَ بِهِ»[١].

اسْمُ اللهِ تَعَالَى: الخَبِيرُ

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: «هُوَ الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالظَّوَاهِرِ، وَالبَوَاطِنِ، وَالإِسْرَارِ، وَالإِعْلَانِ، وَالوَاجِبَاتِ، وَالمُسْتَحِيلَاتِ، وَالمُمْكِنَاتِ، وَبِالعَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَبِالمَاضِي، وَالحَاضِرِ، وَالمُسْتَقْبَلِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ»[٢].

اسْمُ اللهِ تَعَالَى: البَصِيرُ

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: «الَّذِي أَحَاطَ بَصَرُهُ بِجَمِيعِ المُبْصِرَاتِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، حَتَّى أَخْفَى مَا يَكُونُ فِيهَا فَيَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَجَمِيعَ أَعْضَائِهَا البَاطِنَةِ، وَالظَّاهِرَةِ، وَسَرَيَانِ القُوتِ فِي أَعْضَائِهَا الدَّقِيقَةِ، وَيَرَى سَرَيَانَ المِيَاهِ فِي أَغْصَانِ الأَشْجَارِ، وَعُرُوقِهَا وَجَمِيعَ النَّبَاتَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَصِغَرِهَا، وَدِقَّتِهَا، وَيَرَى نِيَاطَ عُرُوقِ النَّمْلَةِ، وَالنَّحْلَةِ، وَالبَعُوضَةِ، وَأَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ... وَيَرَى خِيَانَاتِ الأَعْيُنِ، وَتَقَلُّبَاتِ الأَجْفَانِ، وَحَرَكَاتِ الجَنَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشعراء:٢١٨ - ٢١٩] ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غَافِر:١٩] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البُرُوج:٩] أَيْ مُطَّلِعٌ، وَمُحِيطٌ عِلْمُهُ، وَبَصَرُهُ، وَسَمْعُهُ بِجَمِيعِ الكَائِنَات.

يُبْصِرُ مَا تَحْتَ الأَرَاضِينَ السَّبْع، كَمَا يُبْصِرُ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْع،

(١) «تَفْسِيرُ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى» (ص٧٣).
(٢) «تَفْسِيرُ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى» (ص٤٢).

وَأَيْضاً سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الجَزَاءَ بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ، وَالمَعْنَى الأَخِير يَرْجِعُ إِلَى حِكْمَتِهِ»[1].

(١) «تَفْسِيرُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى» (ص٢٥).

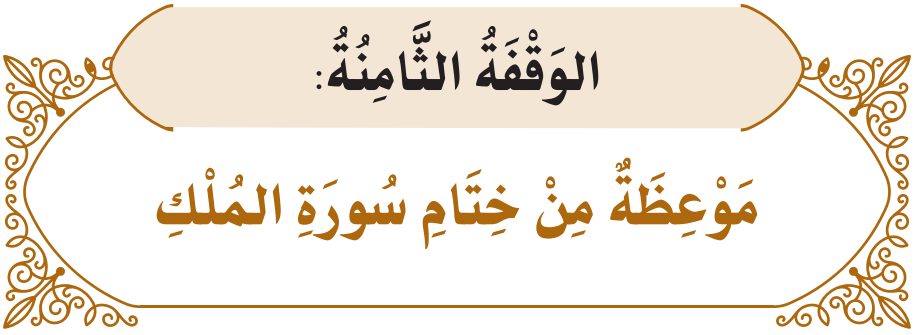
الوَقْفَةُ الثَّامِنَةُ:
مَوْعِظَةٌ مِنْ خِتَامِ سُورَةِ المُلْكِ

قَالَ العَلَّامَةُ الشَّنْقِيطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ضَابِطُ الْوَعْظِ: هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي تَلِينُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَأَعْظَمُ مَا تَلِينُ لَهُ قُلُوبُ الْعُقَلَاءِ أَوَامِرُ رَبِّهِمْ وَنَوَاهِيهِ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْأَمْرَ خَافُوا مِنْ سُخْطِ اللَّهِ فِي عَدَمِ امْتِثَالِهِ، وَطَمِعُوا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي امْتِثَالِهِ. وَإِذَا سَمِعُوا النَّهْيَ خَافُوا مِنْ سُخْطِ اللَّهِ فِي عَدَمِ اجْتِنَابِهِ، وَطَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي اجْتِنَابِهِ؛ فَحَدَاهُمْ حَادِي الْخَوْفِ وَالطَّمَعِ إِلَى الِامْتِثَالِ، فَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ لِلطَّاعَةِ خَوْفًا وَطَمَعًا»

«أَضْوَاءُ البَيَان» (٤٣٨/٢)

لَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى القُرآنَ الكَرِيمَ بِأَنَّهُ مَوْعِظَةٌ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونس:٥٧].

وَمِنْ مَعَانِي المَوْعِظَةِ أَنَّهُ «جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ شِفَاءً، يَسْتَشْفُونَ بِمَوَاعِظِهِ مِنَ الأَدْوَاءِ العَارِضَةِ لِصُدُورِهِمْ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَكْفِيهِمْ وَيُغْنِيهِمْ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ المَوَاعِظِ بِبَيَانِ آيَاتِهِ»(١).

وَمِنَ الأُمُورِ الَّتِي شَغَلَتْ بَنِي آدَمَ قَضِيَّةُ الرِّزْقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، بَلِ اسْتَعْجَلَ بَعْضُ النَّاسِ فَطَلَبُوهُ فِي الحَرَامِ، وَغَفَلُوا أَوْ تَغَافَلُوا أَنَّ ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذَّاريَات:٥٨].

فَمِمَّا جَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مُعَالَجَةُ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ، وَتَذْكِيرِهَا وَتَصْوِيبِ طَرِيقِهَا فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ.

قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّد الأَمِين الشَّنْقِيطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [المُلك:٢١].

يَقُولُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ: مَنْ هَذَا الَّذِي غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ يَرْزُقُكُمْ، إِنْ أَمْسَكَ اللَّهُ عَنْكُمْ رِزْقَهُ.

وَالْجَوَابُ: لَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَمْلِكُهُ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَدْ صَرَّحَ تَعَالَى بِهَذَا السُّؤَالِ وَجَوَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبإ:٢٤].

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِير» (١/ ٦٧).

أَيْ: لَا أَحَدَ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فَاطِر:٣].

وَذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى الْخَلْقِ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى الرِّزْقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس:٣١].

وَكَقَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الرُّوم:٤٠].

وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَالرِّزْقِ، وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ لِمَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ سُبْحَانَهُ، وَتَدْبِيرُ شُئُونِ الْخَلْقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشُّوري:١٢]، أَيْ: يَبْسُطُ وَيَقْدِرُ، يَعْلَمُ لَا عَنْ نَقْصٍ وَلَا حَاجَةٍ، وَلَكِنْ يَعْلَمُ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشُّوري:١٩] أَيْ: يُعَامِلُهُمْ بِلُطْفِهِ وَهُوَ قَوِيٌّ عَلَى أَنْ يَرْزُقَ الْجَمِيعَ رِزْقًا وَاسِعًا، وَهُوَ الْعَزِيزُ فِي مُلْكِهِ، فَهُوَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الزُّمَر:٥٢] أَيْ: بِمُقْتَضَى اللُّطْفِ وَالْعِلْمِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود:٦].

وَمِنْ هَذَا كُلِّهِ يُرَدُّ عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ عِنْدَ غَيْرِهِ الرِّزْقَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النَّحل:٧٣].

وَقَدْ جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ تَوْبِيخَهُمْ وَتَوْجِيهَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العَنكبُوت:١٧].

وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى قَضِيَّةَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْعِبَادَةِ كُلَّهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذَّاريَات:٥٦ - ٥٨].

وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُ يَرْزُقُ الْعِبَادَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جُمْلَةً.

وَبَيَّنَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى كَيْفِيَّةَ هَذَا الرِّزْقِ تَفْصِيلًا مِمَّا يَعْجِزُ الْخَلْقُ عَنْ فِعْلِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عَبَسَ:٢٤ - ٣٢].

فَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الرِّزْقِ فِي ذَلِكَ ابْتِدَاءً مِنْ إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَنْشَأُ عَنْهُ إِشْقَاقُ الْأَرْضِ عَنِ النَّبَاتِ بِأَنْوَاعِهِ حَبًّا وَعِنَبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ وَفَاكِهَةً، وَكُلُّهَا لِلْإِنْسَانِ، وَقَضْبًا وَأَبًّا لِلْأَنْعَامِ، وَالْأَنْعَامُ أَرْزَاقٌ أَيْضًا لَحْمًا وَلَبَنًا، وَجَمِيعُ ذَلِكَ قِوَامُهُ إِنْزَالُ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا اللَّهُ.

فَإِذَا أَمْسَكَهُ اللَّهُ عَنِ الْخَلْقِ لَا يَقْوَى مَخْلُوقٌ عَلَى إِنْزَالِهِ، فَإِذَا عَلِمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ الْأَرْزَاقَ بِيَدِ الْخَلَّاقِ، وَمَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ يَتَّجِهَ بِرَغْبَةٍ

وَلَا يَتَوَجَّهَ بِسُؤَالٍ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُوقِنًا حَقَّ الْيَقِينِ أَنَّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ.

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذَّاريات:٢٢ - ٢٣].

وَقَدْ جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَوْلُهَا: «وَاللَّهِ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ حَتَّى يَكُونَ يَقِينُهُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمَ مِمَّا بِيَدِهِ»[(١)].

«ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِظْهَاراً لِلرَّحْمَةِ فِي خَلْقِهِ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ [المُلك:٣٠] أَيْ ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ إِلَى أَسْفَلَ، فَلَا يُنَالُ بِالفُؤُوسِ الْحِدَادِ وَلَا السَّوَاعِدِ الشِّدَادِ، وَالْغَائِرُ عَكْسُ النَّابِعِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ﴾ [المُلك:٣٠] أَيْ نَابِعٍ سَائِحٍ جَارٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَمِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ أَنْبَعَ لَكُمُ الْمِيَاهَ، وَأَجْرَاهَا فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ الْعِبَادُ إِلَيْهِ مِنَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ»[(٢)].

وَصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

---

(١) «أَضْوَاءُ البَيَان» (٥/ ٤٢٧).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِير» (٤/ ٥١٢).

الفهرس

مقدمة ٥

الوَقْفَةُ الأُولَى: مَعْلُومَاتٌ هَامَّةٌ عَنْ سُورَةِ المُلْكِ ٩

الوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ: سُورَةُ المُلْكِ وَعِلْمُ المُنَاسَبَات ١٥

الوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ: أَغْرَاضُ سُورَةِ المُلْكِ ٢١

الوَقْفَةُ الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ سُورَةِ المُلْكِ ٢٥

الوَقْفَةُ الخَامِسَةُ: فَضَائِلُهَا، وَهَدْيُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم فِي قِرَاءَتِهَا ٤١

الوَقْفَةُ السَّادِسَةُ: لَطَائِفُ وَفَوَائِدُ مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ المُلْكِ ٤٧

الوَقْفَةُ السَّابِعَةُ: أَسْمَاءُ الله الحُسْنَى الوَارِدَة فِي سُورَةِ المُلْك ٥٩

الوَقْفَةُ الثَّامِنَةُ: مَوْعِظَةٌ مِنْ خِتَامِ سُورَةِ المُلْكِ ٦٩

الفهرس ٧٥

ISBN 978-9931-616-69-6

loucyefdesign